تقديم لمعالي مدير الجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فإن المتتبع لآداب الشعوب الإسلامية التي كتبت بلغات مختلفة يجد بينها جميعًا روابط قوية، وعلاقات تأثر وتأثير واضحة جلية، وما ذلك إلا لوجود الوحدة الفكرية بين تلك الآداب لأنها تنطلق من ثقافة مشتركة بين الشعوب الإسلامية مهما اختلفت لغاتها، وتباعدت أصقاعها، وتنهل من معين واحد ألا وهو الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية الخالدة.

وقد خططت عمادة البحث العلمي منذ سنوات لإصدار سلسلة من الدراسات والبحوث عن آداب الشعوب الإسلامية المكتوبة بغير العربية، واضعة لذلك خطة مفصلة مدروسة، تهدف إلى التعريف بآداب الشعوب الإسلامية وموضوعاتها وأعلامها مع التركيز على الروابط الفكرية ووحدة المنبع والهدف، وكذلك تعريف الأدباء والدارسين العرب بإخوانهم من الأدباء والدارسين الذين أبدعوا بلغات أخرى.

كما أن هذا النوع من الدراسات سيفتح للأدباء العرب آفاقًا جديدة في مجال التأثر والتأثير وسيساعد على القيام ببحوث ودراسات في مجال الأدب المقارن

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الخلق النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا بحث متواضع في الأدب الإسلامي الأوزبكي، وقد جاء ليسدّ فراغًا كبيرًا في المكتبة العربية، إذ إنه أول محاولة علمية - باللغة العربية - تتناول الأدب في منطقة وسط آسيا، هذا الأدب الذي نما وترعرع في ظل الدعوة الإسلامية، صحيح أنه كان في المنطقة أدب خاص بها، لكنه تفاعل مع الدين الجديد، وتمثل دعوته، فظهرت علاماتها في هذا الأدب، فأصبح أدبًا إسلاميًا بحق، نبع من الإسلام، وتحدث عن الإسلام، والتزم بالإسلام.

عندما دخل الإسلام المنطقة - في القرن الثاني الهجري - قابل حضارة عميقة الجذور، وكان التفاعل المثمر بينهما، ونتج عنه مجتمع إسلامي بثقافته وعلومه وأدبه، وكان من ثمرات هذا التفاعل أيضًا تنوع وتجديد في آداب الشعوب التي دخلت الإسلام في منطقة وسط آسيا، فقد ظهرت فنون جديدة في هذه الآداب بأثر الإسلام والأدب العربي، كما كان الحرف العربي الذي اعتُمِد في الكتابة ذا أثر واضح في ظهور موضوعات جديدة، وقد اهتمت شعوب المنطقة - وبخاصة في أوزبكستان - بالحرف العربي، فدرسوه، وبينوا طرق كتابته، وشرحوا معانيه، وأودعوه أدبهم.

والكتاب الذي نقدمه اليوم هو الإصدار السابع ضمن سلسلة (**آداب الشعوب الإسلامية**) وعنوانه (**الأدب الأوزبكي الإسلامي**) لمؤلفه الدكتور/ شاه موسا روف، وهو يقدم دراسة عميقة للأدب الأوزبكي بمراحله المختلفة، كما يقدم نماذج مشرقة من الأدب الأوزبكي نثرًا وشعرًا.

وسوف يتبع هذا البحث بحوث أخرى تتوالى - إن شاء الله - عن بقية آداب الشعوب الإسلامية، فإصدار هذه السلسلة ينسجم مع أهداف الجامعة في نشر الثقافة والآداب الإسلامية، ويسهم في تحقيق ما تسعى إليه المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وحكومته الرشيدة.

وختامًا أشكر للمؤلف جهده الوافر، كما أشكر عمادة البحث العلمي التي تبذل ما في وسعها للسير بمشروعاتها العلمية في مسارها الصحيح الهادف بجد ونشاط، وأسأل الله للجميع الجزاء الأوفى.

والحمد لله رب العالمين..

د. محمد بن سعد السالم

راجين أن يكون هذا البحث مقدمة لأبحاث تليه في دراسة الأدب الإسلامي لشعوب منطقة وسط آسيا.

ولا يسعني في هذا المجال إلا أن أقدم الشكر لمعهد الاستشراق التابع لمجمع العلوم في جمهورية أوزبكستان لتزويدي بصور المخطوطات والكتب النادرة للأدباء الأوزبك، وكذلك أقدم الشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي أخذت على عاتقها طبع هذا البحث ونشره.

والله الموفق.

المؤلف

د.شاه رستم

إن تاريخ الأدب الأوزبكي هو جزء من أدب الأمة الإسلامية الواحدة التي لا يعرف حدودًا بين أقطارها، وهو يبين حقبة من الزمن سما فيها الأدب الأوزبكي وعلا بفضل تمسكه بالإسلام، وللحقيقة نقول إن الأدب الأوزبكي كله أدب إسلامي، لأنه - كما أشرنا - نما وترعرع في ظل هذه الدعوة السامية وهذا الدين القويم، ولا يستطيع الباحث أن يقول إن هناك أدبًا غير إسلامي، وما كانت النماذج التي عرضناها في هذا البحث - وأصحابها - إلا إشارة بسيطة تعرّف بهذا الأدب، وتوضح أثر الإسلام فيه.

ولكن . . . حدث بسبب الاحتلال السوفييتي لبلاد وسط آسيا، وفرضه الأيديولوجية الشيوعية على شعوب المنطقة، حدث أن كانت هناك محاولات من بعض الدارسين والناشرين لإخفاء الأدب الإسلامي، إما خوفًا أو مجاراة للفكر الجديد، وقد ظهرت الحقيقة بعد أن استقلت الجمهوريات المسلمة عن الاتحاد السوفييتي، حيث بدئ بنشر الأدب الذي لم يكن نشره مسموحًا في ذلك الوقت، وكذلك دراسته.

وهذا البحث يتتبع مسيرة الأدب الأوزبكي، ويقدم مجموعة من أبرز الأدباء والشعراء، ويعرض نماذج من نتاجهم، وفي محاولة لإبراز خصائص هذا الأدب وبيان أثر العقيدة فيه، وكذلك إظهار مساهمات الأدباء الأوزبك في المحافظة على الدين ونشره بين الناس.

الفصل الأول ...

الظروف التاريخية والحضارية

حتى وبعد دخول الإسلام وسط آسيا

(أ) نبذة تاريخية عما قبل الإسلام.

(ب) بداية الفتوحات الإسلامية في ما وراء النهر.

(جـ) تأثير الإسلام والثقافة العربية:

أولاً: الانتشار الواسع للغة والكتابة العربية.

ثانيًا: تأثير الأدب العربي على الابداع الشعبي.

ثالثًا: تأثير الدين الإسلامي على عادات شعوب ما وراء النهر.

رابعًا: تأثير الثقافة العربية الإسلامية على تقاليد الكتابة والأدب.

أ) نبذة تاريخية عما قبل الإسلام:

تعد أوزبكستان، التي سادت فيها تقاليد آسيا الوسطى الثقافية العريقة، والتي وصلت مرحلة راقية في مجالات الزراعة، وتربية المواشي والحرف، وامتلكت ثقافة روحية، وأدبية وعلمية غنية، تعد واحدة من الدول التي تحتل مركزًا محترمًا بين دول العالم. وكما تشير المعلومات التاريخية والجيولوجية[1]، فقد عاش أجدادنا على أراضي أوزبكستان الحالية منذ نحو نصف مليون سنة سلفت وتشير المصادر أيضًا إلى أن مناطقنا، مثل فرغانة وخوارزم، على سبيل المثال، كانت من أقدم المناطق التي سكنها الإنسان.

وقد تمكّن أجدادنا من جني محاصيل زراعية وفيرة وذلك لوجود نهري آمودارياوسيرداريا الكبيرين، ولكثرة الأيام المشمسة والأراضي الخصبة، وللتمسك بالتقاليد الزراعية الأوزبكية التي يعود تاريخها لنحو ستة آلاف سنة خلت، بدأت ثقافة المدن والحرف الصناعية بالتطور خطوة خطوة، وبدأت عملية بناء المدن على الأراضي الأوزبكية منذ الزمن الغابر (منذ ٣٥٠٠ - ٤٠٠٠ سنة) فظهرت المدن الكبرى الأولى مثل سمرقند وبخارى وخيوا منذ حوالي ٢٥٠٠ سنة.

قال علماء الآثار الروس والأمريكيون: إنهم اكتشفوا حضارة قديمة انتعشت في وسط آسيا منذ أكثر من أربعة آلاف عام قبل أن يكتسحها طوفان التاريخ.

والازدهار اللاحقين للثقافة الأوزبكية القديمة، واستعملت في أودية أوزبكستان وواحاتها على نطاق واسع الكتابة الخوارزمية، والبقترية والصغدية إضافة إلى الكتابة الهيروغليفية.

بدءا من القرن الثاني قبل الميلاد، ومع دخول قبائل الهون التركية إلى آسيا الوسطى، بدأت عملية اندماجهم وانصهارهم مع السكان المحليين. واستمرت عملية نزوح القبائل التركية التي كانت تعيش في آلطاي، يِتي ساىْ وعلى ضفاف نهر سيرداريا، إلى أوزبكستان عدة قرون. ونتيجة لذلك دخلت بلاد ما وراء النهر في عداد الخانية التركية. ومع أن عملية استخدام اللغتين التركية والصغدية استمرت في المراحل الأولى في ما وراء النهر، إلا أن السكان بدأوا في نهاية الأمر بالتخاطب باللغات التركية. وأخيرًا تشكلت اللغة الأوزبكية من مزيج لغات القبائل التركية، التي سكنت بلاد ما وراء النهر وكانت تتكلم بلهجات قارلوق - تشيغيل والأوغوز والقبجاق. وبفضل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة في تلك المرحلة تشكلت الثقافة الإقطاعية في مراحلها المبكرة.

بعد القرن السابع الميلادي ارتبط التطور الثقافي في بلاد ما وراء النهر والتطور الاجتماعي - السياسي والروحي ارتباطًا وثيقًا بالدين الإسلامي والحضارة العربية. ومع نهاية القرن السابع الميلادي تمكنت الخلافة الإسلامية من فرض سلطة واسعة في المجالات السياسية -

وأوردت صحيفة نيويورك تايمز أن سكان تلك المناطق قد بنوا واحات، وأقاموا مباني وتحصينات من قوالب الطين، وكانوا يرعون الأغنام والماعز، ويزرعون القمح والحنطة في الحقول، وطوروا فؤوسًا من البرونز والسيراميك، وحفريات على المرمر والعظام، ومصوغات من الذهب والأحجار شبه الكريمة، وتركوا سلعًا ترفيهية فاخرة في مقابر الصفوة منهم[٢].

بدأت الكتابة الأولى التي تعتمد الرسوم والرموز بالظهور في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، في ذلك الوقت كان التطور على أشده في مجالات الزراعة، والحرف، والتجارة، وثقافة المدينة. وكان أول المتعاملين بهذه الكتابة أهل خوارزم، وبارفيا، وصُغديانه، ومرغيانه وشاش الذين كانوا يعيشون على الزراعة والحرف. أما جيرانهم الساكيون والمساتشيون فكانوا يعتمدون على تربية المواشي.

لقد شاركت هذه المجموعات الأثنية، التي تمتلك قواسم مشتركة في اللغة، والعادات، ونمط المعيشة والدين، بفعالية في تكوين التقاليد الثقافية الأوزبكية القديمة.

وكان لطريق الحرير العظيم الذي يمر عبر آسيا الوسطى دور مهم في حياة أجدادنا الاجتماعية والثقافية، وشكلت العلاقات الثقافية والاقتصادية التي قامت بين بلاد الغرب والشرق حقبة مهمة في التطور

السياسية والعسكرية بعد القضاء على الخلافات القبلية والاضطرابات والتمرد في الداخل وحل الاستقرار في حياة الدولة الاجتماعية، وفي هذه الظروف التاريخية عين قتيبة بن مسلم واليًا على خراسان وبدأ فورًا بالتحضير لفتح آسيا الوسطى نهائيًا، فتم فتح بايكند (٨٨هـ/ ٧٠٦م)، وبخارى (٨٩هـ/ ٧٠٧م)، وكيش ونَسَف (٩٢هـ/ ٧١٠م) وخوارزم وسمرقند (٩٤هـ/ ٧١٢م) وفرغانة وشاش (٩٥هـ/ ٧١٣م) وهكذا تمكنت حملات قتيبة بن مسلم الظافرة من فتح واخضاع بلاد ما وراء النهر كاملة. وتمكن الدين الإسلامي في قلوب السكان في زرفشان، وفرغانة، وقشقاداريا وخوارزم.

حكم نصر بن سيار، الذي أظهر حنكة في عمله كنائب لخراسان وما وراء النهر، القبائل العربية والمحلية في الأراضي المفتوحة في أعوام (١٢١- ١٣١هـ/ ٧٣٨ - ٧٤٨م)، وبالرغم من أن اعتناق الإسلام في البداية جرى بصعوبة من قبل السكان المحليين، إلا أنه صار جزءًا منهم وخاصة التجار الذين اعتنقوا الإسلام بشكل كامل، وشيئًا فشيئا بدأوا بالتخلي عن الدين القديم الزرادشتية.

إن اعتناق الدين الإسلامي في آسيا الوسطى والتأثير الإيجابي للأدب العربي ساعدا في إثراء التقاليد الثقافية والروحية المحلية، التي تشكلت عبر القرون الطويلة في أوزبكستان وشكل هذا بالتالي الثقافة الإسلامية الأوزبكية في بلاد ما وراء النهر.

الإيديولوجية والاقتصادية والروحية. وانتشر الدين الإسلامي في الكثير من دول حوض البحر الأبيض المتوسط وآسيا.

ب) بداية الفتوحات الإسلامية في ما وراء النهر:

بدأ الفتح الإسلامي، بقيادة عبيد الله بن زياد، لبلاد ما وراء النهر بفتح مدينة بايكند القريبة من بخارى. وقام هذا القائد العربي بأمر من الخليفة الأموي معاوية الأول سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م) بعبور نهر آموداريا وفتح مدينتي بايكند وبخارى، ثم دعا السكان المحليين لاعتناق الإسلام[٣].

في سنة (٥٧هـ/ ٦٧٦م) عيّن سعيد بن عثمان واليًا على خراسان. حيث قام بحملة على بلاد ما وراء النهر فتمكن من فتح بخارى وسمرقند، وكاش. وكما جرى فتح العديد من مدن صغد الصغيرة وقراها. وبذلك تمكن السكان المحليون من التعرف على الدين الإسلامي واعتناقه.

بعد مقتل سعيد بن عثمان من قبل فلاحي بخارى عين مسلم بن زياد بن أبيه واليًا على خراسان، وقام في سنوات (٦٢- ٦٥هـ/ ٦٨١ - ٦٨٤م) الحملة على بخارى. لكن المسلمين لم يتمكنوا من فتح بلاد ما وراء النهر كاملة في القرن السابع للميلاد بسبب عدم توالي الحملات، وفي القرن الثامن الميلادي عادت هيبة الخلافة العربية

الرسميين فقط، إنما استعملها أيضًا الموظفون الذين كانوا يتكلمون باللغات الفارسية، والخوارزمية والصفدية، وكتبت قوانين الدين والشريعة (الفقه) بشكل أساسي باللغة العربية وكذلك الوثائق الرسمية"[٥].

أدى تسيير المعاملات باللغة العربية الذي أصبح تقليدًا معتمدًا إلى دراسة اللغة العربية، وأدت الضرورات الاجتماعية إلى الفهم الدقيق لأصول اللغة والكتابة والقراءة المعتمدة على استعمال الحرف العربي. وبهذا اقترب سكان ما وراء النهر أكثر إلى اللغة والكتابة العربية. وأصبحت اللغة العربية في ذلك الوقت لغة العلم والثقافة والأدب. وظهرت في آسيا الوسطى أيضًا دراسات في نحو اللغة العربية وقواعدها. ونشير بشكل خاص إلى العالم المشهور محمود بن محمد الزمخشري، الذي عاش وعمل في خوارزم في القرن الخامس الهجري، دارسًا كبيرًا لقواعد اللغة العربية، والشعر العربي والفلسفة الإسلامية. وهكذا فإن مؤلفاته، مثل "المفصل في صنعة الإعراب"، و"المجمع العربي - الفارسي" و"الأسماء في اللغات"، و"نوابغ الكلام"، و"المستقصي في أمثال العرب" و"المخطط في المسائل النحوية" أو "الأحاجي النحوية"، و"الأنموذج في النحو" و"صميم العربية" و"المراد والمؤلف في النحو" و"ديوان التمويل" درست إلى جانب القواعد، اللهجة، وخصائص اللفظ في اللغة العربية، وطرق الكتابة ومعرفة اللغة التطبيقية.

جـ) تأثير الإسلام والثقافة العربية على الحياة الأدبية والاجتماعية في ما وراء النهر

كان اعتناق شعوب ما وراء النهر للإسلام سببًا مهمًا في التغيير الذي طرأ على حياتهم الثقافية والاجتماعية وأدى الانتشار الواسع للإسلام بين السكان إلى نشر ما يدعو إليه هذا الدين المبارك.

لقد تمكن سكان ما وراء النهر، بعد اعتناقهم للدين الإسلامي، من الإحساس بقلوبهم بالقوة الإلهية، التي انطوت عليها الآيات القرآنية المقدسة، والتي حملت إلينا الثقافة الروحية الإسلامية "إننا نتمكن بواسطة الكلمة من التوصل إلى عمق المفاهيم الإسلامية، وبواسطتها يتحدد الصراط المستقيم لكل مسلم في الحياة الخاصة والحياة الاجتماعية"(٤).

إذًا يمكن تلخيص التأثير الذي تركه دخول الإسلام في الحياة الثقافية والأدبية لبلاد ما وراء النهر بما يلي:

١- الانتشار الواسع للغة والكتابة العربية:

قامت الحياة الروحية والثقافية في ما وراء النهر في عصور الازدهار على أساس المفاهيم الإسلامية، وذلك كغيرها من المناطق التي كانت تابعة للخلافة الإسلامية. فبعد فتح العرب المسلمين لبلاد ما وراء النهر أصبحت المعاملات الرسمية والوثائق باللغة العربية "ولم تستعمل اللغة العربية في تفسير قوانين الدين الإسلامي بين الموظفين

نستخلص من ذلك أن اللغة العربية أغنت بشكل دائم اللغة الأوزبكية كمصدر فريد من نوعه يمدها بالألفاظ ويعد هذا واحدًا من المؤشرات الإيجابية في تأثير الثقافة العربية على الحياة الاجتماعية لشعوب بلاد ما وراء النهر.

٢- تأثير الأدب العربي على الإبداع الشعبي لشعوب ما وراء النهر:

بدءًا من القرن السابع الميلادي أثرى الأدب العربي الإبداع الشعبي بعد أن وطد العرب العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمعرفية مع شعوب آسيا الوسطى.

ارتبط تاريخ نشوء إقامة علاقات الأدب العربي الأوزبكي بشكل وثيق باعتناق الإسلام في ما وراء النهر، ومن العوامل الأساسية التي أمنت تحويل العلاقات الثقافية والأدبية إلى تقليد تحول إلى تراث ما يلي عامل الدين الواحد للشعوب العربية والأوزبكية (الإيمان بالله الواحد الأحد) والانتشار الواسع في بلاد ما وراء النهر للمصادر الأدبية، والعلمية والدينية والتاريخية العربية، وتأسيس أحرف اللغة الأوزبكية القديمة (التركية) على أساس الأحرف العربية، وظهور أدب شعبي والعادات المثبتة والداعية لقوانين الدين الإسلامي في التراث الشعبي الأوزبكي، ونماذج الإبداع الشعبي العربي الحي (الشفهي والمكتوب) ثم نقل هذه النصوص إلى الأدب الشعبي الأوزبكي (التركي). وهكذا ظهرت علاقات شاملة أدت إلى تطوير الإبداع الملحمي وتحسينه وظهور العديد من الأنماط.

وقد ساهم الزمخشري إلى جانب ذلك بقسط كبير في تطوير معرفة اللغة العربية ونشر الدعاية على نطاق واسع للغة وللكتابة العربية.

بدأ الحرف العربي، ابتداء من القرن العاشر الميلادي ينتشر كحرف أساسي في الكتابة في جميع الولايات والمناطق في بلاد ما وراء النهر. واستعمل الحرف العربي إلى جانب اللغة العربية في العديد من مجالات العلم، والثقافة، والمعرفة، والأدب والعلوم الاجتماعية والاقتصادية. وانتشرت أنواع الخط العربي في ما وراء النهر كخطوط التوقيع، والنستعليق، والثلث، والنسخ، والكوفي، والرقعي، والفارسي والمعلق[٦]. وظل الحرف العربي قيد الاستعمال من القرن العاشر وحتى مطلع القرن العشرين الميلادي (تاريخ الغزو الروسي الاستعماري) حيث استبدل به الحرف الأوزبكي القائم على أساس الحروف اللاتينية.

أدى استعمال الكتابة العربية وحروفها في الوثائق الرسمية، وكذلك الانتشار الواسع للمصادر العربية في مجال الدين والمعرفة والعلم والأدب إلى توسيع القاموس الأوزبكي عن طريق اقتراض الكلمات العربية. ونتيجة لذلك جرى استعمال الكثير من الكلمات العربية باللغة الأوزبكية وقد استعمل الكثير من الكلمات العربية في مؤلفات الشعراء الأوزبك الكلاسيكيين.

المواضيع: تحول الحمامة التي فقدت إحدى ريشاتها إلى فتاة حسناء، وفهم أبطال الحكايات للغة الطيور، وملاحقة البطل لغزال والانتقال إلى عالم ملحمي آخر، وظهور شجرة (زهرة) على ضريح العاشقين، وامتلاك أدوات سحرية، وتطبيب ابنة الملك وظهور مولودين توأم لدى زوجة الملك وتبديلهما.

في خلال التطور التاريخي لعلاقات الأدب العربي الشعبي والأدب الأوزبكي، انتقل بعض الحكايات العربية بكاملها إلى أفواه الرواة الأوزبك (الأتراك)[٧].

٣- تأثير الدين الإسلامي على عادات شعوب ما وراء النهر:

إن انتشار تعاليم الدين الإسلامي في بلاد ما وراء النهر أثر بشكل ملحوظ على نمط حياة السكان والقبائل المحلية ذات الأصل التركي، وخاصة على نمط التقاليد الدينية. فقد احتلت الشعائر الدينية التي جاءت مع الدين الإسلامي، كالصلاة والصيام والأضحية وغيرها، مكانًا وطيدًا في حياة الشعب، وكان لها دور مهم في تكريس قناعاته الأخلاقية، ومن ناحية أخرى فإن الحياة الروحية للشعب الأوزبكي تشتمل على شعائر وعادات كإقامة عقيقة (الضيافة بمناسبة المولود الجديد في العائلة) و"الخدايي" (الضيافة بهدف عمل الخير)، و"الجنازة" (إقامة صلاة الميت)، و"أفطارليك" (إقامة الإفطار)، و"نكاح أوقيتيش" (إقامة شعائر الزواج) و"سنَّة تويي" (الاحتفال بختان الأطفال)، و"ختم قرآن" و"قالين تولاش" (دفع

إن الانتشار الواسع لتعليم القرآن الكريم في ما وراء النهر وانتشار علوم الحديث والتفسير وقراءة الكتب الأدبية والعلمية والمعرفية في مختلف الأماكن، إضافة إلى الانتشار الواسع للقصص العربية الشعبية، كل هذا شكَّل نمطا خاصا في الأساطير القصصية الشعبية الأوزبكية. ويمكن تقسيم هذا النمط إلى ثلاثة أنواع وفقًا لخصائصه الشعرية:

أ- الأساطير التي حافظت على العناصر الفنية للقصة الملحمية التي يتميز بها الأدب العربي الشعبي.

ب - الأساطير التي أخِذَتْ من قصص الأدب العربي الشعبي، وجرى تعديلها لتتلاءم مع التقاليد الملحمية الأوزبكية (التركية).

ج - الأساطير التي كتبت على أساس العناصر الفنية المحدودة للقصة التقليدية، الموجودة في الأدب العربي الشعبي.

وقد تشكلت القواسم المشتركة الملاحظة بين تقاليد الحكاية النثرية العربية والأوزبكية بشكل أساسي عن طريقين، وبالتحديد بفضل التقديم الشفهي الحي للحكايات العربية، ليجري تحويلها فيما بعد وفق الأرضية الملحمية الأوزبكية (التركية)، وكذلك نتيجة لترجمة الأدب الشعبي إلى لغات شعوب آسيا الوسطى.

إن الكثير من مواضيع الحكايات الشعبية الأوزبكية تعود في غالبيتها من ناحية المنشأ التاريخي إلى الأدب العربي الشعبي من هذه

٤- تأثير الثقافة العربية الإسلامية على تقاليد الكتابة والأدب:

تطورت تقاليد الكتابة والأدب لدى شعوب ما وراء النهر، التي اعتنقت الإسلام، أيضًا تحت التأثير المباشر لتعاليم الدين الإسلامي. وغدت الآيات القرآنية الكريمة مصدرًا لا ينضب لمختلف المواضيع الأدبية. وبهدف شرح معاني ما جاء في القرآن الكريم، ظهر في الأدب الأوزبكي تقليد كتابة قصص الأنبياء (سير الأنبياء).

فعلى أساس سورة يوسف، قام قُوْلْ علي في عام (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) بكتابة "قصة يوسف" وفي مطلع القرن التاسع الميلادي أتمَّ الشاعر البخاري شهاب الدين أمعاق كتابة "قصة يوسف وزليخة".

إن النصوص النثرية لمبادئ الفكر الإسلامي وضرورة استغلال المواهب الشعرية أوجدت تيارًا أدبيًا خاصًا في الأدب الأوزبكي. وقد ظهرت التباشير الأولى لهذا التيار الأدبي الأوزبكي الإسلامي في مؤلفات محمود قاشغاري، ويوسف خاص حاجب وأحمد يغناكي.

وبفضل معرفتهم الدينية الواسعة ومواهبهم الأدبية تمكن أحمد يساوي، ونصر الدين رابغوزي وسليمان باقرغاني من وضع حجر الأساس للأدب الإسلامي الأوزبكي.

أدى الاستقرار الاجتماعي والسياسي، والثقافي والاقتصادي الذي ساد في عهد حكم التيموريين إلى إيجاد المقومات الضرورية لتطور الأدب الأوزبكي الإسلامي بشكل أفضل. فإذا كان الشعراء من أمثال لطفي، وسكاكي، وعطائي، وكَدائي والخوارزمي، ودوربك،

المهر للعروس) وغيرها من الشعائر التي ظهرت تحت التأثير المباشر للثقافة العربية الإسلامية، وتكونت على أساس التعاليم الإسلامية.

ومع دخول الدين الإسلامي إلى بلاد ما وراء النهر، اكتسبت بعض الشعائر التقليدية القديمة جوهرًا إسلاميًا، وظلت قائمة حتى يومنا هذا. ومن تلك الشعائر "درويشانه" (الدروشة أو التنسك).

تحدثت المصادر الإسلامية المحلية عن هذه العادة القديمة بما يلي: "يقوم شخصان أو ثلاثة في ربيع كل عام بجمع المال والتبرعات من كل بيت في القرى وأحياء المدن ثم يجتمعون في دار ما أو في باحة الجامع حيث يجرى تحضير الحساء الذي يوزع على سكان الحي بأكملهم. يتم ذلك عادة في حال حدوث كارثة ما (إنتشار الوباء أو الجفاف) بهدف التخلص منها ومباركة عمل المزارعين، وكذلك عند الابتهال إلى الله وطلب العون والرحمة"[٨].

ويحتفل الشعب الأوزبكي على مدى قرون عديدة بعيدين إسلاميين أساسيين هما: عيد الأضحى المبارك الذي كان يحتفل به على مدى سبعة أيام متواصلة، وعيد الفطر السعيد الذي تستغرق احتفالاته ثلاثة أيام، إلى جانب ذلك كان الأوزبك يحتفلون على نطاق واسع بعيد ميلاد النبي ﷺ (اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول)، وعيد "رجب بيرمي" (الإسراء والمعراج)، وعيد "برات كيتشاس" (ليلة منتصف شهر شعبان)، وهي عادات يتمسك بها الشعب الأوزبكي رغم أنه لا أصل لها في السنة.

للإيديولوجية السائدة، ورفضت السلطات الجوهر الإسلامي لأدبنا وقامت بإذلال الشعراء "يساوي" و"سليمان باقرغاني" و"صوفي أللە يار" و"هويدا" أما الآن فقد عادت إمكانية دراسة الأدب الإسلامي الأوزبكي واعتباره تقليدًا أدبيًا موحدًا، وهذا البحث الذي نعرضه على القراء الكرام، يعد واحدًا من أوائل الأبحاث في هذا المجال المهم، وقد حاولنا فيه إعطاء عرض مختصر لمصادر الأدب الإسلامي الأوزبكي ونشأته، وتاريخه وخصائصه كنهج أدبي، إضافة إلى الخصائص الفريدة لمؤلفات الأدباء الأوزبك.

وعبيدي وبابُر قد كرسوا مواهبهم ومهاراتهم بجدارة لمتابعة النهج الأدبي الإسلامي، فإن أبا الأدب الأوزبكي الكلاسيكي علي شيرنوائي توصل إلى وضع نماذج أدبية عالمية ساهمت في رفع شأن الموضوعات الإسلامية إلى مستوى التفكير الأدبي.

وقد تابع نهج الأدب الإسلامي الأوزبكي الذي ارتقى إلى مرتبة عالية لم يصلها من قبل تطوره بفضل العبقري علي شيرنوائي، وذلك من القرن السابع عشر وحتى مطلع القرن العشرين، وقام الأدباء من أمثال "مشرب" و"صوفي أللـه يار"، و"هويدا" و"أولاني" بعرض المواضيع الإسلامية، كل على طريقته الأدبية. وبعد احتلال روسيا القيصرية لآسيا الوسطى، وسحق السوفيات لفكرة الاستقلال القومي، وجد الأدب الأوزبكي نفسه في أحضان الكفر والإلحاد المتطرف. وأصبح الأدب الأوزبكي، الذي غابت عنه روح الإسلام المقدس، في حالة يُرثى لها، ولكن بعد حصول أوزبكستان على استقلالها الوطني، وبفضل الله تعالى، عادت روح الإسلام إلى الظهور، ويتناول شعراء اليوم من أمثال عبد الله عارف وأنور حاجي أحمد، وأركين واحدوف، وآمان ماتشان، وصدر الدين البخاري وغيرهم من الأدباء الملهمين، المواضيع الإسلامية في أعمالهم الأدبية.

ويُذكر أنه في عهد السوفيات، جرت دراسة الأدب الأوزبكي في الدوائر الأدبية بشكل مبتور كي يتلاءم مع المقاييس العلمية

الفصل الثاني ...

اللغة الأوزبكية وكتابتها

(أ) نبذة قصيرة عن انتشار اللغة الأوزبكية.

(ب) أنواع الكتابات الأوزبكية القديمة.

(جـ) انتشار الكتابة العربية.

هوامش الفصل الأول

(١) تاريخ شعوب أوزبكستان، المجلد الأول - طشقند، ١٩٩٢، ص ٣ - ٥.

(٢) مجلة الفيصل، العدد ٢٩٩، ١٤٢٢هـ، ص ١٣١، (وهذا العمل من الأعمال الجاهلية).

(٣) تاريخ بخارى، أبوبكر محمد بن جعفر النرشخي، ص ٣٩- ٤١.

(٤) د. شمس الدين شكوروف، ما معنى الثقافة الإسلامية؟ مجلة العالم الخفي ١٩٩١م، العدد ١٠، ص ١٣.

(٥) د. عليبيك رستمي، "محمود الزمخشري" طشقند، دار الفن، ١٩٧١م يولدا شيف "الزمخشري لغوي" أوركنتش ١٩٩٦م، ص ٣٢- ٤٠، مدرئيموف "تأثير اللهجات لمؤلفات الزمخشري" أوركنتش، ١٩٧١م، ص ١٤- ٢٠.

(٦) جمعة نيازوف ر. الكتابة الأوزبكية القديمة، طشقند، ، ١٩٨٩م، ص ٤ - ٥.

(٧) من أمثلة ذلك حكايتا: "خواجه بازركان وحسن حطاب" و"السجادة السحرية" المأخوذتان من "قصة حسن البصري" الواردة في كتاب "ألف ليلة وليلة". أما حكايات "الوفاء" و"الزهرة الجميلة"، و"حيل المرأة الفقيرة"، و"جزاء الواشين"، و"المرأة المدبرة"، و"الوردة التي لا تذبل أو المرأة الأمينة"، فقد تشكلت عن طريق تحويل القصة المعقدة الموضوع، والمأخوذة من كتاب "ألف ليلة وليلة" وهي "حكاية شهر زاد والوزراء السبعة" إلى الفولكلور الأوزبكي. لقد وسّعت الحكايات العربية مواضيع الفولكلور الأوزبكي الملحمية، وكانت له كتربة فنية أغنت مواضيعه.

(٨) قاموس الإسلام، طشقند، دار القاموس، ١٩٨٧م، ص ٦٧.

اللغة الأوزبكية وكتابتها

(أ) نبذة قصيرة عن انتشار اللغة الأوزبكية:

اللغة الأوزبكية بجميع لهجاتها هي لغة الشعب الأوزبكي تمتد مواطنهم من الذي يعيش في جمهورية أوزبكستان بحدودها الحالية وفي جنوب جمهورية قازاقستان وفي المناطق الغربية من جمهورية قرقيزستان وجمهورية طاجكستان وشمال غرب دولة أفغانستان وشمال جمهورية تركمانستان، وهي لغة رسمية فقط لجمهورية أوزبكستان ويبلغ عدد الناطقين بالأوزبكية ٢٦ مليون نسمة.

تنتسب اللغة الأوزبكية إلى اللغة التركية الأم، التي تنتسب بدورها إلى عائلة اللغات الأورال - أنطائية.

إن اللغة الأوزبكية هي لغة إلحاقية، وهي تعني أن يضاف إلى جذر الكلمة عدة لواحق لاشتقاق معانٍ جديدة. والأوزبكية انقسمت إلى ثلاثة لهجات وهي:

١- اللهجة القارلوقية

٢- اللهجة القبجاقية

٣- اللهجة الأوغوزية

كما هو معلوم إن دراسة ظهور اللغة الأوزبكية وتطورها تفتح المجال لتحديد المصادر القديمة، فالشعب الأوزبكي يمتلك منذ قديم

كتابة باقطريا:

لقد احتلت كتابة باقطريا مكانة مرموقة في تاريخ حضارة الأوزبك القدماء الذين عاشوا في المناطق الجنوبية بعامة وعلى حدود ولاية سورخان دريا، خاصة. وتكونت هذه الكتابة على أساس الكتابة الآرامية والكتابة اليونانية القديمة وحتى زماننا هذا وصلتنا أكثر من مئات الكلمات بالرسم الباقطري والآثار التي تم العثور عليها، ليعود تاريخها إلى القرن الأول الميلادي[١].

لغة الصغد وكتابتها:

لقد شملت الصغدية جزءًا من ولاية قشقادريا ووادي زرقشان حيث كانت لها تاريخ وحضارة قديمة. وانتشرت في هذه المناطق الكتابة الصغدية في القرن الرابع الميلادي، وعثر في جبال موغ لوادي زرفشان على مجموعة كبيرة من الآثار المحفوظة بصورة جيدة للكتابة الصغدية.

وما عدا هذا فإنه تم العثور على مخطوطات للكتابة الصغدية والنقود المكتوبة عليها بنفس اللغة. وأفادت المعلومات أن آثار الكتابة الصغدية كانت تحتوي على مواضيع القصص الشعبية التي راجت بين الأهالي تصف الحياة الاجتماعية لذلك الزمن البعيد[٢].

كتابة الساك:

وقامت البعثة العلمية بأعمال الحفريات في منطقة خواتن الواقعة في تركستان الشرقية في بداية القرن العشرين واستطاعت أن

الزمان لغته الوطنية وأثناء مراحل التطور الثقافي قد استفاد من مختلف أنواع الكتابات. والجدير بالذكر أن أجدادنا الذين عاشوا في منطقة آسيا الوسطى قد استخدموا عدة أنواع من الكتابة نذكر منها خمسة أشكال: هي كتابة روني وارخون - ينيسي والأيغور والأبجدية العربية واللاتينية والروسية وكانت هذه حجر الأساس في بناء نظام الكتابة الوطنية الخاصة، وكانت مهمة لكتابات الخوارزمية والساكية والباقطرية والصغدية.

(ب) أنواع الكتابات الأوزبكية القديمة:

كتابة خوارزم القديمة:

تعد كتابة خوارزم التي ظهرت على أساس الأبجدية الآرامية من أقدم الكتابات التي استخدمتها الشعوب التي قطنت في منطقة آسيا الوسطى. وقد أتيحت للبروفسور تولستوف الفرصة للعثور على نماذج من الآثار القديمة الخاصة بالكتابة في قلعتين تحملان اسمي قلعة قويقريلغان وقلعة توبراق، وحسب تحديد الخبراء في مجال الحفريات فإن أقدم نماذج الكتابة الخوارزمية يعود تاريخها إلى القرن الرابع والخامس قبل الميلاد.

فيجب الإشارة إلى أن الأبجدية التي تتكون من اثنين وعشرين حرفًا والمبنية على أساس الكتابة الآرامية قد استخدمت في تولي الشؤون الإدارية والاقتصادية بصورة فعالة.

يستفاد منها في كتابة المواريث والأختام وصك النقود والجدير بالذكر أنها كانت كتابة متنوعة مكتوبة على أشياء مختلفة.

وتعد آثار أورخون - ينيسي من أهم المصادر لدراسة الحياة الاجتماعية والسياسية ولغة الأتراك القديمة وحضارتهم وعاداتهم وتقاليدهم والميفولوجيا لذلك الزمن الماضي. ومن بين الآثار لكتابة أورخون - ينيسي تكتسب الأحجار المحفورة من نوع حجر (أونغين) و(تونيوقوف) و(قول - تيغين) و(بيلغه خاقان) و(قولي - شور) و(مايون - شور) و(إيريق) أهمية بالغة.

الكتابة الأويغورية:

كما هو معلوم فإن خاقان الأتراك قام بفتح دولة الأويغور في سنة (١٢٨هـ/ ٧٤٥م) حيث استطاع أن يضم إليه جميع قبائل خاقان الأتراك في الجهة الشرقية، وظهرت كتابة الأويغور على أساس الأبجدية الصغدية علمًا بأن العلاقات القائمة بين الصغد في منطقة آسيا الوسطى والمركزية وبين الأتراك أدت إلى أن تصبح اللغة الصغدية هي وسيلة للعلاقات بين الشعوب ولغة مزدوجة. تأسست ما بين فترة (١٢٨- ٢٢٦هـ/ ٧٤٥- ٨٤٠).

إن وارثي خاقان الأتراك القديمة القبائل الأويغورية كانت آنذاك تتقن لغتها وتملك كتابتها. وكان هذا النمط من أوائل نماذج الكتابة التي وجدت على أحجار (سيلينغين) المشهورة إذ يعود تاريخها إلى

تحدد مصادر المخطوطات التي يعود تاريخها إلى القرن السابع والعاشر للسنة الميلادية. وثمة مستندات ووثائق تتعلق بالبوذية يطلق عليها (براخمه) المكتوبة بالأبجدية الهندية وحسب ما يؤكده العلماء فإن هذه المستندات كانت مكتوبة باللغة السنسكريتية وتم نقلها إلى كتابة الساك[٣].

وقد تم العثور على إناء مصنوع من الفضة مكتوب عليه بالكتابة الساكية في منطقة ايسيق التي تقع بالقرب من مدينة ألما- آتا.

كتابة أورخون - ينيسي:

اكتشفت آثار الكتابة القديمة من هذا النوع في القرن الثاني عشر الهجري (بداية القرن الثامن عشر الميلادي) وكتبت عن هذا الاكتشاف مقالة تحت عنوان "آثار كتابة ينيي" في مجلة (سيبير سكي فيسنيك) في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

وقام السائح الروسي ن.م. يادر ينتسوف باكتشاف نماذج شبه كتابة "آثار ينيسي" في عام (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) وذلك على شواطئ نهر أورخون. كانت الكتابة الينيسية عامة تحفر على الأحجار باللغة التركية القديمة، إضافة إلى ذلك فإن كتابة مثل هذا النوع وجدت مكتوبة على الأوراق والجلد والخشب والأواني المختلفة. ويعود تاريخ كتابة أورخون - ينيسي إلى القرن الخامس والثامن بعد الميلاد وهي تعد من المصادر الثمينة في الكتابة وتكتب على شواهد القبور كما كان

تطبيق الأبجدية العربية عند أتراك آسيا الوسطى من الناحية اللغوية غاية في الصعوبة، وكانت المؤلفات تكتب باللغتين في بداية الأمر، وعلى سبيل المثال المؤلفات الخاصة بالإسلام تكتب باللغة الأويغورية القديمة وخاصة منها آيات الذكر الحكيم وأحاديث النبي ﷺ باللغة العربية.

وكما يؤكد الدكتور قاسم صادقوف "إن الآثار الموجودة في الكتابة الأويغورية والمكتوبة بالأبجدية العربية قد أدت دور تفسير الخط التركي وتمييز بعض أماكنها. وتم استخدام الحروف العربية إيضاح نطق بعض الكلمات والجمل إذ الكتابة العربية وذلك في تمييز وظيفة أصوات الحروف الأويغورية مثل (الضمة، والفتحة، والكسرة) وكان الراوي الشعبي حسب عادات ذلك الزمان يفضل كتابة بعض السطور، على سبيل المثال، الأحاديث النبوية الشريفة وآيات الذكر الحكيم بالحروف العربية وكانت المخطوطات الأويغورية تكتب بالخط العربي لكي تأخذ نوعًا ما من الزينة وهاتان الكتابتان كانتا تكملان بعضهما البعض حيث يجعل الكتاب أكثر إبداعًا وجمالاً"[٦].

ومنذ أن أصبحت الكتابة العربية اعتيادية عند الأتراك بدأ الخطاطون بعد أن اعتاد الأتراك الكتابة بالحروف العربية على استخدام أسلوب الكتابة لغتين معًا، وعلى سبيل المثال الأويغورية والعربية أو الصغدية والعربية أو الخوارزمية والعربية. ورويدًا رويدًا تم الانتقال

القرن الثامن الميلادي وهي من أهم آثار الكتابة الأويغورية التي تسمى كتابة (خواسترانيفيت) أي (كتاب التوبة للمانويين). ووصل إلينا منها ثلاث نسخ فقط إذ كان هذا من الكتب المقدسة للديانة البوذية وترجم إلى اللغة التركية وينطق عليه (آلتون ياروق) وهو مكتوب باللغة الأويغورية أيضًا. وما عدا هذا لقد وصلت إلينا عدة مستندات ووثائق كتبت بالكتابة الأويغورية[٤] التي استخدمت في آن واحد مع الكتابة العربية حتى القرن الخامس عشر. وبعد مرور عصر كامل احتل مكانها بصورة تامة الكتابة العربية. وتشير المصادر إلى أنه في الأماكن البعيدة أثناء الفتوحات الإسلامية أي عند الأتراك البوذيين استمرت الاستفادة منها حتى القرن السابع عشر الميلادي[٥].

جـ) انتشار الكتابة العربية:

واعتبارًا من القرن السابع الميلادي بدأت الفتوحات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى وبالتدريج أصبحت الأبجدية العربية تحتل بين شعوب الأتراك كتابة أساسية وطبقت فيما بعد عمليًا. وكان للقرآن الكريم دور هام في انتشار هذه الكتابة بصورة عامة وبعد دخول أوزبك إلى الدين الإسلامي الحنيف بدأت الكتب العلمية والأدبية تكتب باللغة العربية في بلاد ما وراء النهر.

واعتبارًا من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أخذت قواعد كتابة اللغة العربية تطبق عمليا في اللغة التركية وباتت مرحلة

لألفاظ الأصوات الأوزبكية مثلاً بدل الكتابة القديمة للحرفين (ص، ث) واستفيد مكانهما حرف (س) للأبجدية الجديدة وبدل أحرف (ظ، ض، ذ) حرف (ز). سابقًا وكان حرف الـ(و) يعبر عن ثلاثة أصوات (ق، و، أو) وطرح مؤلفو الأبجدية الجديدة مكانها رموز حروف أخرى. وعلى هذا النحو تم تطبيق الكتابة العربية بعد إجراء تعديلات على بعض الحروف الأبجدية.

وبعد الفتوحات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى عمت الحضارة العربية هذه البلاد وانتشرت مؤلفات دينية وعلمية وأدبية باللغة العربية. ومن المعروف أن الأماكن التي جرت فيها الفتوحات الإسلامية كانت المكاتبات الحكومية الرسمية بالإضافة إلى التآليف يتم باللغة العربية فانتهت الكتابة القديمة.

وليس هناك أي معلومات صحيحة خاصة بانتقال شعوب آسيا الوسطى إلى الأبجدية العربية وكتابة الأمور المتعلقة بإدارة شؤون الدولة والاقتصاد باللغة العربية، وحسب قول المؤرخ المعروف الجاخشيار (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م) فإنه اعتبارا من سنة ١٢٥هـ (٧٤٢م) بدأت في مناطق خراسان وما وراء النهر الكتابة العربية بصورة تقليدية[٧].

وبناءً على ذلك من الممكن القول إنه اعتبارًا من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) بدأت شؤون الدولة والاقتصاد والمكاتبات

إلى الأبجدية العربية ودامت هذه التقاليد في أوزبكستان لغاية سنوات الثلاثينيات للقرن العشرين.

واستفادت شعوب آسيا الوسطى خلال القرون من الكتابة العربية. ومن أجل تحديث وتطوير الخصائص الصوتية للغة التركية بصورة أوضح ثم إعادة إملاء الكتابة مرات عديدة. وعلى سبيل المثال كان الشاعر الأوزبكي الكلاسيكي المشهور ظهير الدين محمد بابور ألف خلال سنوات ٩٠٩- ٩١٠هـ (١٥٠٣- ١٥٠٤م) كتابًا تحت عنوان "خطي بابري" أي الخط البابري. وكان هذا الكتاب يتميز بأبجديته وطرح المؤلف فيه فكرة تغيير الحركات العربية التقليدية (مثل الفتحة والضمة والكسرة) إلى حروف مخصوصة علمًا بأن هذه الأبجدية لم يتم تطبيقها عمليًا ولكنه من ناحية أخرى قامت بدورٍ مهمٍ في تكميل الكتابة القومية.

وأجريت في عام ٣٤٠هـ (١٩٢١م) إصلاحات في الكتابة الأوزبكية التي كانت مبنية على أساس الأبجدية العربية لتسهيلها أكثر وأصبحت غير معقدة في تعليمها واتقانها واستخدمت أساليب سهلة أخرى في دراستها، وطبقًا لهذا الإصلاح استعملت كل الأحرف في الكتابة ما عدا بعض الأصوات الخاصة بالحروف العربية مثل حرف (ص ، ث، ظ، ض، ذ، د، ط) التي أصبحت غير مستعملة في الكتابة فيما بعد، وأوصى مكانها باستخدام حروف أخرى أقرب

أما السبب الأساسي لانتشار الأبجدية العربية وكتابتها آنذاك في بلاد ما وراء النهر فهو أن القرآن الكريم دستور الإسلام الدين الحنيف كان مكتوبًا بالعربية، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة والكتب الدينية الأخرى أيضًا.

وسبب آخر هو تولي الوظائف التي كانت تدار باللغة العربية في الأماكن التي تمت فيها الفتوحات الإسلامية.

وبعد دخول أهالي منطقة آسيا الوسطى في الدين الإسلامي الحنيف ألفت الكتب العلمية والأدبية باللغة العربية. وظهر علماء قدموا خدمات كبيرة في تطوير العلوم مثل العلامة العبقري في مجال علوم الرياضيات إسماعيل الخوارزمي والعلامة الفارابي الذي وضع حجر الأساس لمدرسة الفلاسفة في آسيا الوسطى والعلامة في علم الفلك أحمد الفرغاني وأكبر العلماء للغة القبائل التركية والأدب الشعبي معروف بمؤلفاته في علم اللغة محمود قشغاري، والعلماء الآخرون مثل النرشخي والثعالبي وابن خاردادبك وابن روسته الإستخري والطبري الذين كانوا أساتذة في علم التاريخ والجغرافية وكذلك من بينهم مؤسس علم الطب البشري أبو علي بن سينا حيث ألفوا جميعًا باللغة العربية، كل هذا يدل على أن اللغة العربية كان لها دور مهم في تطوير الحضارة والعلوم في آسيا الوسطى. وأدت اللغة العربية دورًا مهمًا وكانت همزة الوصل في جعل إمكانات واسعة

تنفذ في مناطق ما وراء النهر باللغة العربية. والدليل الساطع لهذا المثال رسالة ملك سمرقند خاقان ديواشتيشي الذي وجهها إلى أمير خراسان الجراح بن عبد الله (تولى السلطة خلال سنوات ١٠٠-١٠٢هـ (٧١٨- ٧١٩م) وكانت تلك الرسالة من الرسائل الأولى المكتوبة باللغة العربية آنذاك.

ويذكر أنه استفيد خلال الفترة الطويلة من مختلف أنواع الكتابات المحلية وبات من الصعب اتقان الكتابة العربية في منطقة آسيا الوسطى. ولذلك تم إعداد الكُتَّاب القادرين وتدريبهم لإدارة وممارسة شؤون الكتابية باللغة العربية. وفي ذلك الزمن الذي حكم فيه العرب قامت المراكز الحضارية في الدول التي كانت تحت سيطرتهم بفتح المدارس لإعداد الكتاب والخطاطين، وحسب المعلومات المتوفرة فإن مثل هذه المدارس مارست أعمالها في مدينة مرو وأثناء القيام بأعمال الحفريات التي أجريت في مدينة مرو تم العثور على الآثار المصنوعة من الفخار والعظام وعليها كتابات بالأبجدية العربية. وكانت الآثار الفخارية والعظام تؤديان آنذاك وظيفة الورق، ولم تكن هناك كلمات معينة تعنى شيء ما، بل كانت النقوش عبارة عن حروف وكما يؤكد العلماء في مجال دراسة الأخرف أن هذه الآثار تدل على وجود مدارس مخصصة لتعليم الأبجدية العربية في ذلك الوقت، وحسب رأينا كانت تلك المدارس تؤدي دور تعليم كبار الموظفين المحليين لتأهيلهم لإدارة شؤون البلاد باللغة العربية. وبمختصر القول أصبحت الكتابة العربية عند شعوب آسيا الوسطى تدخل بصورة أوسع.

"يتيمة الدهر" عن أسماء كُتّاب وصل عددهم حوالي ١١٩ كاتبًا عاشوا وألفوا كتبهم في بلاد خراسان وما وراء النهر، في ذلك الزمن البعيد. وفي بخارى في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نشطت حركة تأليف الشعر وكتابته باللغة العربية، لا سيما تأليف القصائد إذ أن الشعراء العرب كانوا يتخذون من بخارى ملجأ ودورًا لهم وحتى الكتاب المحليين الذين يتقنون اللغة العربية ويكتبون بها مؤلفاتهم قاموا بتأليف قصائدهم مع أنها كانت تختلف إلى حد ما عن قصائد كتاب الفرس والتاجيك والشعراء العرب"[٩].

وبفضل الاستفادة التامة والكاملة من اللغة العربية وكتابتها عمليًا، سعى شعوب آسيا الوسطى بوضع كتابتهم المبنية على أساس الأبجدية العربية. فهم لم يؤلفوا كتبهم بالعربية فقط، بل ألفوها بلغة الأم المبنية على الأبجدية العربية وعلى هذا النحو تم وضع الأبجدية العربية وازيحت اللغة العربية رويدًا رويدًا في القرنين الحادي والثاني عشر الميلادي، ووضعت الآثار القديمة الأوزبكية على الأبجدية العربية. وأثرت اللغة العربية تأثيرًا كبيرًا على تطور اللغة الأوزبكية خاصة في إغناء الجزء اللغوي للغة الأوزبكية.

وبفضل الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى وسيطرتهم على الأماكن خلال مدة زمنية طويلة استطاعت الشعوب المحلية القاطنة هنا تؤثر على الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية بصورة أوسع.

للاستفادة من المؤلفات والعلوم والإنجازات لعلماء الشرق بصورة تامة التي حققوها عمليًا وبفضل اتقانهم اللغة العربية بطلاقة تمكنوا من أن يقيموا علاقات مع علماء الدول الأخرى.

وفي هذا الصدد ذكر د. ناتن ملاييف في مؤلفاته أنه "عندما كانت اللغة اللاتينية في دول أوروبا لغة العلم والثقافة بين الشعوب، كانت اللغة العربية لغة العلم والحضارة والتفاهم بين الشعوب في دول الشرق، وبقيت اللغة العربية خلال أوقات طويلة بصفتها اللغة الرسمية في الدول التي كانت تخضع للخلافة الإسلامية، وقامت بدورٍ مهمٍ في حياتهم الثقافية، وكان المثقفون المحليون يعرفون اللغة العربية جيدًا ويمارسون ترجمة الكتب من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية.

ونتيجة لذلك قامت اللغة العربية بأداء دور الوسيط بين الشعوب والعلماء من مختلف أرجاء العالم، خاصة أثناء لقاءاتهم وتعاونهم المتبادل[٨]. فلابد من الإشارة إلى أن اللغة العربية مكّنت علماء آسيا الوسطى من إقامة علاقات علمية على المستوى العالمي.

على الرغم من أن العلماء كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية وأحيانًا باللغة المحلية، بل بالتركية والفارسية أيضًا، إلا أن اللغة العربية أصبحت آنذاك لغة دولية يتحدثها الناس في الأماكن التي خضعت للفتوحات الإسلامية. وبهذه المناسبة كشف العلامة الثعالبي في كتابه

من اللغة العربيـة والفارسية لا تزيد عن ٣٠- ٣٥٪ فقط. أما ألفاظ اللغة الأوزبـكية التي دخلت من العـربية فـأغلبيتـها خـاصة بالصـفة والموصوف والمبتدأ وتركـيب عبارات لغوية، أما اللغة العـربية فهي لم تؤثر على نحو وصـرف اللغة الأوزبكية بعـد، بل يلاحظ في كلمات المفرد والجـمع على سبيـل المثال، شاعـر - شعراء، عـالم - علماء، فاضل - فضلاء، وفيما يتعلق بالكلمات العربية التي وردت إلى اللغة الأوزبكية والتي مـا زالت مستعـملة في اللغة الأوزبكية بصورة فـعالة فـهي موجـودة جـزء الاسم ومن الممكن تصنيف هذه الكلمـات إلى الأقسام التالية:

١- كلمات تتعلق بالتعليم والمدارس: مكتب، تربية، تعليم، معلم، مربي، ألفبـاء، حرف، إملاء، إنشاء، امتـحان، درس، دعوة، عرفان، علم، عقل، عارف، علم، تاريخ.

٢- كلمات تتـعلق بالأسرة والقرابة: عـيال، عمـة، عائلة، والدة، أولاد، أجداد، نسل، نصب، خالة.

٣- كلمـات تتـعلق بالتـصنيع والحـرف: بقال، كـسب، كـاسب، مؤسسة، تجارة، طبيب.

٤- كلمات تتعلق بالطبع والنشر: جريدة، كتاب، نشريات، مطبعة، مطبوعات، أخبار، محرر، مصحح، مخبر، ترجمة، ترجمان، مشترى.

وأثرت اللغة العربية على اللغات المحلية تأثيرًا ملحوظًا حتى في الألفاظ، وحسب ما يؤكده علماء اللغة أن نسبة الكلمات العربية في اللغات الناطقة التركية ليس على مستوى واحد.

وكما أشارت الدكتورة عاقلبيكوفا الى "أن نسبة الكلمات العربية في اللغات التركية التي دخلت من العربية متضاربة في الكمية فإذا قارنا كميتها في اللغات التركية فنحن نلاحظ أن الكلمات العربية نسبتها أكثر في اللغة الأويغورية والأوزبكية"[١٠].

وحسب رأينا فإن هذا كان بسبب التقاليد القائمة والموجودة للكتابة في الأدب الأوزبكي القديم للغة الأوزبكية ومن ناحية أخرى انتشار الأدب الإسلامي بصورة أوسع في بلاد ما وراء النهر، "وقد اتضح أن الكلمات العربية الموجودة ضمن لغات شعوب آسيا الوسطى قد انتقلت إلى اللغة الأوزبكية عن طريق الأدب المكتوب وهذا أمر يعترف به أغلبية علماء اللغة"[١١].

وإذا أخذنا بعين الاعتبار نسبة الكلمات الموجودة في أدب كتاب العهد الكلاسيكي الأوزبكي فإننا نلاحظ أن كميتها أكثر بدل لغة الأدب الأوزبكي المعاصر. فحسب رأى العلماء أن نسبة الكلمات في مؤلفات الكتاب من أمثال لطفي وعطائي وسكاكي فإنها تشكل ٥٠-٦٠٪ من الكلمات العربية والفارسية. ويؤكد العالم اللغوي ج. نعماتوف أن نسبة الكلمات المتواجدة في اللغة الأوزبكية التي وردت

علاوة على ذلك ثمة مصطلحات تتعلق بالمكان وغير ذلك حيث دخلت اللغة الأوزبكية مثل: منزل، مكان، وادي، وطن، أملاك، مقامة. كلمات فلكية: السماء، والقمر، والشمس، والكوكب، والفلك، كلمات العادات والتقاليد: جنازة، الموت، الفاتحة، النكاح، السنة، الختان، عقيقة، الأمر بالمعروف، والجدير بالذكر أن هذه المصطلحات تستعمل دائمًا وبصورة أكثر، وأصبح تغيير المعاني للكلمات المقتبسة من اللغة العربية أثناء استخدامها للزمن الطويل:

١- تغيير معنى الكلمة. ٢- تضييق معنى الكلمة

٣- توسيع معنى الكلمة.

فتوجد في اللغة الأوزبكية بعض الكلمات العربية حيث تختلف دلالتها في الأوزبكية عن دلالة الكلمة بالعربية، على سبيل المثال: بساط بالعربية تعني السجاد ولكن بالأوزبكية تعني الملكية، كلمة حلاوة الأوزبكية تعني الاطمئنان والهدوء وأتت هذه الكلمة من العربية بصيغة المفرد وجمعها حلوات وتعني الطعام ذو الطعم الحلو[١٢]. بعض الكلمات العربية المستعملة في الأوزبكية تحمل معنًا عكسيًا للمعنى الأصلي، مثلاً كلمة: بصير التي تعني قوي الرؤية، أما في الأوزبكية تعني معنى مخالفة بدل معناها الأصلي وهي في الأوزبكية القضاء والقدر. كلمة معيب معناها بالعربية العيب، أما في الأوزبكية معاق، مشوه، أعرج. وتشمل المؤلفات الشفاهية الأوزبكية

٥- كلمات في مجال العسكر والحرب وبعض التسمية: أرمية، ضابط، حربي، محاربة، مدافعة، أسلحة، استحكام، تلافة، جسارة، متانة، شهرة، جاسوس، عسكر، هجوم، حملة.

٦- كلمات تتعلق بالأمور الدينية: مسلمان، إيمان، اعتقاد، زكاة، محراب، مسجد، مدرسة، جنة، جهنم، آخره، إمام، ولي، حديث، مؤذن، آذان، حج، عمرة، عيد، عرفات، فاتحة، كلمة، آية.

٧- كلمات خاصة للمصطلحات العلمية والمجالات الأخرى: رواية، قصة، مقال، مقلد، أذكياء، لطيفة، أساطير، حكاية... إلخ، وكلمات متعلقة بالعلم: رياضيات، كيمياء، طبيعة، طبابة، جغرافية، فلسفة، هندسة، فيلسوف، نظرية، نباتات، حيوانات... إلخ.

٨- مصطلحات الأنظمة والسياسة والحقوق: وكالة، دولة، حكومة، حاكمية، ولاية، ملة، مأمورية، وزير، مجلس، قرار، بيان، حاكم، محكمة، حكم، دعوة، نكاح، معلومات.

٩- كلمات تتعلق بالأدب والفن: أدبيات، صنعة، رسام، مصور، مشاق، صورة، قافية، وزن، عروض، قصيدة، مثنوى، موشح، مخمس، مسدس، قطعة، فرد، نقاش، رسم، مثل، شعر، حكاية، رباعي.

ونتيجة تأثير اللغة العربية وكتابتها خلال القرون العديدة أصبح من الاهتمام البالغ دراسة وبحث عامل المصير التاريخي للجزء اللفظي في اللغة الأوزبكية. وفي كثير من الأحيان أن الكلمة التي لها معنى معين دخلت اللغة الأوزبكية من اللغة العربية كانت تعطي نفس المعنى، وفي هذه الحالات إن الكلمة التي دخلت من العربية ازاحت اللفظ الأوزبكي التركي ثم تغيّر معناها العربي ولكنها بقيت محفوظة ومستعملة في اللغة وفي بعض الأحيان كانت الكلمات المنتمية للغتين تستعمل على قدم المساواة على سبيل المثال: كلمة (المواد الغذائية) - آزوق آوقتلر.

وبفضل إضافة سوابق ولواحق اللغة الأوزبكية وحروفها التي تستعمل في بناء الكلمات كانت الفرصة لاشتقاق كلمات جديدة حيث أصبحت هذه وسيلة في إثراء اللغة الأوزبكية وتطويرها، على سبيل المثال: اللاحقه (تش) و(ي) أدت إلى حصول معنى الحرف والتخصص: تشكيلات + تشي = تشكيلاتشي، علاقة + تشي = علاقة تشي، استعمال + تشي = استعمالتشي، معروضه + تشي = معروضه تشي . . إلخ. وثمة سوابق توضع أمام الكلمة الأوزبكية، مثلا: درس + ليك = درسليك (كتاب مدرسي)، مأمور + ليك = مأمورليك (رئاسة المكتب)، أعضاء + ليك = أعضاءليك (عضوية) وكيل + ليك = وكيلليك (حق الوكالة)، اتفاق + ليك = اتفاقليك (اتحادي)، أمير + ليك = أميرليك (إمارة) حاكم + ليك = حاكم ليك (إدارة المحافظ أو الحاكم) نقاش + ليك = نقاشليك (متقن حرفة

موضوع الحكمة وينطق على ذلك المقال: وأصل هذه الكلمة عربية وتعني القول. وفيما يخص كلمة أسباب ومفردها بالعربية سبب وردت إلى الأوزبكية كمصطلح تعني اسم الآلة أو الأسلحة.

وكما اتضح من الأمثلة السابقة أن الكلمات العربية التي دخلت إلى الأوزبكية بعضها يعني معناه الأصلي في اللغة الأوزبكية والبعض الآخر يعطي معنى مضادًا بدلا من المعنى الأصلي في اللغة العربية. أما الاختلاف في المعاني للكلمات العربية فهو يدل على أن ذلك كان نتيجة التطور التاريخي لألفاظ اللغة الأوزبكية. وكما يؤكد أ. د. شاه عبد الرحمانوف "أن كمية الكلمات العربية الموجودة في لهجات الشعب الأوزبكي أقل مما هو عليه في اللغة الأوزبكية الأدبية الكلاسيكية"[١٣].

وتأكيدًا لما ذكر أعلاه أشار عالم اللغة د. صفروف إلى أنه من الضروري دراسة الكلمات العربية المتواجدة في اللغة الأوزبكية الأدبية ولهجاتها في اتجاهين:

الأول: الكلمات المستعملة بصورة فعالة **والثاني** غير فعالة، وحسب رأيه أن الخوارزميين يتكلمون باللهجة الأوغوزية التابعة للهجات الأوزبكية فهم ينطقون كلمات عربية غير مستعملة في اللغة الأوزبكية الفصحى على سبيل المثال كلمة (هز) مزة، كيف ومعناها بالعربية الكيف والصفاء. كلمة (كل) ومعناها بالعربية الجميع أو الكل، كلمة (أذى) العربية تعني في لهجة الخوارزميين الخجل، الاستحياء، الألم وهي بالعربية فهي عذاب[١٤].

نلاحظ أن لغات وسط آسيا قد اقتبست من اللغة العربية ما نسبته حوالي ٤٠٪، كما أن المصطلحات والألفاظ الإسلامية دخلت هذه اللغات وهي باقية إلى اليوم كما هي.

ومن ممارستي في اللغة مع أفراد كثيرين من أبناء شعوب آسيا الوسطى، وكذلك من قراءتي في المعاجم الطاجيكية والقازاقية والفيرغيزية والأوزبكية والايغورية والقاراقلباقية والتركمانية - وجدت أن هناك عددًا كبيرًا من الألفاظ العربية تعدها هذه الشعوب من صميم لغاتهم.

وإذا أردنا إيراد أمثلة لهذه الألفاظ فسنحتاج وقتًا طويلاً بسبب كثرة هذه الألفاظ، فهي بنسبة ٤٠٪ كما ذكرت يضاف إليها المصطلحات الإسلامية الدينية، ولكن هناك بعض الحالات الخاصة التي وجدت الناس يغيرون في لفظ الكلمة حسب لهجاتهم وخصوصية جهاز النطق لديهم مثل:

في العربية	في الأوزبكية والطاجيكية	في القازاقية والقيرغيزية
مكتب	MAkTAB	mektep
كلام	KALOM	kelam

وهناك تغيير حدث في دلالة بعض الألفاظ مثل:

١- مكتب التي تستعمل بمعنى مدرسة (ولعل في هذا إشارة إلى الكتاب)

النقش)، محرر + ليك محرر ليك (مصحح الأخطاء)، فيه حروف تضاف لاحقة للكلمة الأوزبكية صفة + لي = صفتلي (جودة عالية)، موفقيت + لي = موفقيتلي (انجاز نجاحات) مسؤولية + لي = مسؤليتلي (حاسس المسؤولية) إراده + لي = اراده لي (متحمل الصعوبات) شدة + لي = شدتلي (قوي). حروف إضافية تضاف أمام الكلمة الأوزبكية: طياره + كاه = طياره كاه (مطار) عالي + كاه (معهد أو جامعة).

وغالبًا ما نلاحظ كلمات كثيرة في اللغة الأوزبكية أصلها وأحرفها من جذور عربية + فارسية، عربية + أوزبكية، أما أصل الكلمة عربية والحروف المتلاصقة بها أوزبكية أو الكلمة أصلها عربي والحروف اللاحقة المتلاصقة فارسية، على سبيل المثال: كلمة كالوش عربية + دوز المتلاصقة فارسية، ومعناها (مصلح الكالوشات أو الأحذية).

وتحتل أسماء الأشخاص الواردة من العربية في اللغة الأوزبكية مكانة خاصة، مثلاً: محمد، عبدالله، إبراهيم، مقدس، مكرم، منور، يعقوب، يوسف... إلخ.

ونجد في اللغة الأوزبكية المزيد من الكلمات العربية التي تعبر عن الصفة النسبية مثلاً: أدب - أدبي، تعليم - تعليمي، معرفة - معرفي، علم - علمي، كيمياء - كيماوي، شمس - شمشي، عام - عامي.

وجدير بالذكر أن الشعر عند شعوب آسيا الوسطى قائم على الأوزان العربية التي وصفها الخليل بن أحمد الفراهيدي ويتم التقطيع الشعري حسب تفعيلات الخليل نفسها.

تعتبر منطقة آسيا الوسطى غنية من حيث الثروة العلمية وكنوزها، ففيها حوالي ١٠٠ر٠٠٠ مخطوطة، منها حوالي ٨٠٪ مكتوبة بالحرف العربي، وحوالي ٦٠ر٠٠٠ مخطوطة باللغة العربية في شتى العلوم.

٢- خبر التي تستعمل بمعنى إلى اللقاء.

كما حدث تغيير في طريقة لفظ بعض الكلمات مثل:

عصا أصبحت خصا

محمد أصبحت ماماد عند الأوزبك

يونس أصبحت جونس

يوسف أصبحت جوسف عند القازاق والقيرغيز

كما أخذت بعض الكلمات العربية وتحت منها مع بعض الأمثال الأساسية مثل فعل:

قِلماق بمعنى عمل أو فعل ليصبح فعلا جديدا مثل:

١- كتابت قلماق بمعنى كتب أو ألّف.

٢- ختنا (ختان) قلماق بمعنى ختن.

وفعل "كوتارماق" بمعنى أنقل مثل:

١- نسخا (نسخة) كوتشرماق بمعنى انتسخ.

أما في مجال الدراسة الأدبية فنجد أن معظم المصطلحات الأدبية عربية في الأساس مثل:

رباعي، قصيدة، بيت، مرثية، غزل، هجو (هجاء) مخمس، مثنى، وزن مجاز، استعارة، تشبيه.

(١١) مدرحيمـوف أ. ألفاظ اللهجة الأوغوزية في اللغـة الأوزبكية، طشقند ١٩٧٣م، ص ٨٤.

(١٢) د. فتاح عبد الله يف، بعض الألفاظ الأوزبكية، مؤلفات معهد البحوث العلمية للأدب واللغة، الجلد الأول، طشقند ١٩٤٩م، ص ٩٥.

(١٣) أ.د. شاه عبد الرحمانوف، اللغة الأدبيـة الأوزبكية ولهجاتها، طشقند ١٩٦٢م، ص ٢٢٠.

(١٤) د. صفـروف، العلاقـات المتبـادلة للغات التـركيـة في واحة خوارزم، طشـقند ١٩٨٨م، ص ٦٨- ٦٩.

هوامش الفصل الثاني

(١) د. سعد الله يف "مصادر الكتابة الأوزبكية القديمة"، طشقند ١٩٦٦م، ص ١٣..

(٢) د. إسحاقوف، تكوين الكتابة الصغدية وتطورها "الآثار النادرة"، طشقند ١٩٨٩م، ص ١١٣.

(٣) Sten- Konov. Saka Studies, Oslo 1932, Sten -

Konov, Primer of Khotanese Saka. NTS, Bd. XV. Oslo, 1949.

(٤) د. مختاروف أ. ود. ساناقولوف، و. تاريخ اللغة الأوزبكية الفصحى، طشقند ١٩٩٥م، ص ٣١- ٣٣.

(٥) د. قاسم صادقوف، الكتابة الأويغورية من نوادر آثار الحضارة التركية، الجلد الأول، طشقند ١٩٨٩م، ص ٨٩.

(٦) المصدر السابق، ص ٩١.

(٧) أورانسكي ي. م. مقدمة في علم اللغة والآداب الفارسية، موسكو ١٩٦٠م، ص ٢٥٨..

(٨) د. ناتن ملاييف، تاريخ الأدب الأوزبكي، طشقند ١٩٧٦م، ص ٨٨- ٨٩.

(٩) د. عصمت الله عبد الله يف، حول القصائد المؤلفة في القرن العاشر في بخارى، مسائل اللغة الأوزبكية، طشقند، ١٩٦٢م، ص ٢٣.

(١٠) د. عاقلبيكوفا، الكلمات العربية مصدر في تكوين اللغات التركية في آسيا الوسطى وسيبيريا الجنوبية، فرونزه ١٩٦٦م، ص ٢٣٠.

الفصل الثالث ...

تأثير الإسلام على الأدب الشعبي الأوزبكي

(أ) القصص الشعبية الأوزبكية التي عكست الإسلام.

(ب) ظهور القصص الشعبية المستمدة من القرآن الكريم.

الفصل الثالث

(أ) القصص الشعبية الأوزبكية التي عكست الإسلام

من المعروف أن الإسلام بدأ ينتشر في بلاد ما وراء النهر مع نهاية القرن السابع الميلادي، واستمرت هذه العملية التاريخية حتى أواسط القرن الثامن، ونتيجة ذلك اعتنقت شعوب آسيا الوسطى الدين الإسلامي. حمل الدين الإسلامي إلى هذه المناطق التعاليم الدينية وحمل أيضًا القصص العربية والحكايات ذات المواضيع المتعددة. إن القصص المستمدة من تراث الإسلام أثرت على أدب شعوب البلاد التي فتحها العرب؛ لهذا السبب ظهر طابع الحكايات الإسلامية في أدب شعوب آسيا الوسطى، خاصة الشعب الأوزبكي، على أساس انتشار هذه القصص والحكايات ذات الطابع الموحد لدى أدبائها وشعرائها.

تنوعت القصص الشعبية الأوزبكية ذات الطابع الإسلامي بشكل كبير من حيث موضوعاتها، وحملت في طياتها موضوعات مستمدة من مصادر الأدب الشعبي العربي القديمة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في إحدى القصص الأوزبكية، التي تعتمد موضوعًا قديمًا عن الطائر الأسطوري "العنقاء".

ظهرت العنقاء في الأدب الشعبي الأوزبكي، وذلك عن طريق القصص التي رواها الرواة الأوزبك، فقد كتب نص على لسان الراوية

تحدث عدد من العلماء، من أمثال: ل. ي. كليموفينش، م. ب. بياتروفسكي، ي. بيك، ج. بدرسين، ي. رضوان بشكل مفصل عن تاريخ ظهور الحكايات الإسلامية الخاصة بظهور الإنسان الأول على الأرض، وعن مجموعة المواضيع وتصنيف الوجوه الخاصة بذلك[٢]، وبهذا الخصوص سوف نقتصر في بحثنا هذا على التحليل من ناحيتي المقارنة والتصنيف للقصص الأوزبكية التي ظهرت نتيجة انتشار حكاية آدم وحواء.

ونود أن نشير هنا إلى أن هذه القصص فيها أشياء مخالفة للشرع، ولصفات الله عز وجل، ولأفعال الملائكة... وفيها كثير من الإسرائيليات، وننبه على وجوب معرفة أن كاتب البحث يصنف القصص، وهو لا يوافق على ما جاء فيها من مغالطات ومخالفات لما جاء به الدين الحنيف، ويترك لعلماء الدين الأجلاء بيان ما فيها من كذب وأساطير.

تتحدث القصة الأوزبكية "ظهور الحياة على الأرض" ذات الطابع الانثروبولوجي، والتي كتبها الطشقندي ز. يوسفوف عما يلي: عندما أراد الله عز وجل أن يخلق الإنسان، تشجعت كل المخلوقات في الكون واضطربت قائلة: "يمكن خلق نسل الإنسان مني!" وراحت الكائنات تتبارى وتتجادل فيما بينها فقال البحر باعتزاز: "أنا كبير وقوي!" وقالت الجبال بتكبر: "لا يوجد في الكون أعظم منّا!" ويقال إن فلزات الذهب الموجودة في باطن الأرض، صرخت بصوت

الأوزبكي يوسف أوغلي، رحمه الله[1]، يتطابق كليًا مع الحكاية العربية عن العنقاء، والتي رواها الكلبي، وتقول بعض المصادر إن طيور العنقاء سكنت في آخر الدنيا أو في جبل قاف.

ونلاحظ أن القصة الإسلامية العربية والقصة الأوزبكية، اعتمدتا العوامل المكونة نفسها، كطبيعة العقناء الأسطورية، وعدم رضا الناس عن أعمالها الإجرامية، ويشير كل هذا إلى أن القصة لدى الشعبين ظهرت على أساس موضوع مشترك، لقد ظهرت قصة العنقاء في البداية عند العرب، وبعد انتشار الثقافة الإسلامية، انتقل هذا الموضوع إلى المؤلفات الملحمية في الأدب الشعبي الأوزبكي.

إلا أنه من الطبيعي أن تكون هناك بعض الفروقات بين القصة العربية والقصة الأوزبكية، فعند فصل الموضوع الملحمي عن مصدره الفني الأساسي، من الطبيعي أن يجري تعديله ليتلاءم مع القوانين الجمالية للنهج الملحمي الجديد، فاقدًا بذلك بعض عناصره لتحل مكانها عناصر فنية جديدة، لم تكن موجودة في الموضوع الأصلي.

كما ذكرت القصص الإسلامية الأوزبكية أيضًا حكاية آدم عليه السلام وزوجته حواء، ومعروف أن حكاية آدم جاءت في القرآن الكريم (سورة البقرة: الآيات ٣٠- ٣٩؛ سورة الأعراف: الآيات ١١- ٢٥؛ سورة الحجر: الآيات ٢٦- ٤٤؛ سورة الإسراء: الآيات ٦١- ٦٥؛ سورة الحج: الآية ٥، سورة ص: الآيات ٧١- ٨٥؛ سورة العلق: الآية ٤).

الحدود. في هذه اللحظة قالت الأرض بخضوع: أنا أدنى منكم جميعًا، بعيدة عن الذهب، ولا شيء يمكن أن يبعث الفرح في نفسي، وعندما أظهرت الأرض هذه الوداعة، قال الله عز وجل: سأخلق الإنسان من الأرض، وخلق آدم من التراب.

إن موضوع القصة الأوزبكية الإسلامية أعلاه الذي وضعه ربغوزي، انتشر على مدى قرون عديدة على ألسنة الرواة، ومن الطبيعي أن تجري عليه، خلال ذلك، بعض التعديلات، ففي قصة ربغوزي مثلاً نجد أربعة كائنات تنادت لخلق الإنسان منها، أما في الرواية الشعبية فإن هذه الكائنات ثلاثة بعد أن حذفت السماء منها، ونعتقد أن سبب ذلك يكمن في أن النهج الفني في الأدب الشعبي الأوزبكي اعتمد دائمًا الشكل الثلاثي للتكرار، إن اعتماد الثلاثية في الأساطير والروايات التقليدية كانت السبب الرئيسي في اعتماد ثلاثة نماذج في مرحلة تحول القصة إلى رواية شفهية.

تفيد الرواية الشعبية الأوزبكية حول "خلق الجنس البشري" (كتبها البخاري قادر قانديموف) أن الله عز وجل عندما قرر خلق الإنسان دعا إليه الملائكة وأمرهم بإحضار التراب من مكان محدد على الأرض، لكن أحدا منهم لم يتمكن من إحضار حفنة من التراب، لأنهم اكتشفوا عند وصولهم ذلك المكان أن الأرض قد جفت وأنها ترتجف، ولذلك قرروا عدم لمسها (!!)، وفي النهاية أرسلوا ملاك الموت عزرائيل لإحضار التراب، وعند وصوله إلى الأرض، شاهدها عزرائيل مرتجفة ومضطربة، فوقف هناك هنيهة، ثم قبض على حفنة

عـالٍ قـائلة: "أنا أغلى شيء فـي الكون!"، ولكن الأرض وحـدها بقيت صامتة من بين جميع الذين قدموا أنفسهم، فسألها الله: لماذا لم تقولي شيئًا؟ أم أنك لا تريدين أن يخلق الإنسان من الأرض؟ فأجابت الأرض وهي تتنهد بحـسرة: أنا أرض بسيطة وعـادية، وليس لدي ما أفتخر به، ولهذا السبب بقيت صامتة. فقال الله لجبرائيل: أحضر لي حفنة من التراب، كي أخلق الإنسان.

وبالرغم من أن هذه القصة أُلفت لتوضح سبب خلق الإنسان من التراب، إلا أنه، أي الإنسان، منح بالنتيجة جوهرًا اجتماعيًا - ماديًا، عن طريق شجب كبـرياء البحر، والجبال والذهب، وتمجيـد الصفات الحميدة كالتواضع والنبل.

إن غالبية القصص الشعـبية الأوزبكية، المرتبطة بخلق وظهور آدم عليه السلام، ظهرت بنتيجـة النقل الشفهي بأشكال مختلفة لحكايات: "قصص ربغوزي".

وبالفـعل فإن "قـصص ربغـوزي" أجـابت عن سؤال: مـاهي الحكمة من خلق الإنسـان على الأرض؟ في "قصة آدم عليـه السلام" على النحـو التالي: عندمـا قال الله عز وجل: أريد خـلق الإنسان، هتفت جـميع المخلوقات وراح كل منها يسـأل الله عز وجل أن يخلق الإنسان منه. قـال الجبل: أنا حامل السعـادة، وقال البحر: أنا جـبار وعظيم، وقـال الذهب: أنا غالٍ وثمين، وقـالت السمـاء: أنا جليلة ومحترمـة، ورفع الجميع رؤوسهم بفخر، وهم مـسرورون إلى أقصى

نلاحظ من شكلي الرواية الأنثروبولوجية الواحدة حول خلق الإنسان، أنه لم يجر الحديث عن ماهية العهد الذي قطعته الأرض على نفسها، فالموضوع الأول المأخوذ عن المصادر الإسلامية يتحول في الأرضية الملحمية التركية (الأوزبكية) ليمتلك الخصائص الفنية الجديدة وهذا ما نراه في قول: "الأرض قطعت عهدًا".

وفي رواية "تاريخ الأنبياء والحكماء" يروي علي شيرنوائي الرواية الإسلامية عن خلق آدم على طريقته فيقول: آدم عليه السلام، حبيب البشر، وهو أبو البشر ولقب بصفي الله. لقد أراد الله عز وجل أن يكون آدم أول البشر، فأمر جبرائيل أن يحضر قليلاً من التراب لخلق آدم، وأن يكون التراب من أرض مكة المكرمة، وعندما أراد جبرائيل تنفيذ ذلك قالت له الأرض: "لقد قطعت على نفسي عهدا، فلا تأخذ من ترابي، لأن المخلوق من ترابي لن يكون ذا جدارة، وسأصبح مذنبة أمام الله العلي العظيم"، عاد جبرائيل أدراجه وأعلن عما سمعه من الأرض، وعندئذ تقرر إرسال ميكائيل، لكن الأخير عاد أيضًا دون أن يحضر التراب بعد أن سمع قول الأرض، وعندها أمروا عزرائيل بإحضار حفنة من التراب، وعندما قالت الأرض لعزرائيل بأنها قطعت على نفسها عهدًا، أجابها قائلاً: إن أمر رب العالمين أهم بكثير من عهدك[٤].

إن شجرة نسب هذا الشعب أو ذاك تبدأ، وفق النهج الأدبي التركي (الأوزبكي) المكتوب والمروي، من الحكاية الإسلامية عن خلق

من التراب بشكل مفاجيء وعاد أدراجه، وقام الله عز وجل بخلق آدم من التراب الذي أحضره عـزرائيل، ثم توجه إلى عزرائيل قائلاً: أنت تمكنت من إحـضار التـراب لخلق الإنسـان، وأنت من سيـقوم بأخـذ روحه، ومنذ ذلك الحين يقوم عزرائيل بأخذ أرواح الناس.

إن هذه الرواية التي ظـهرت نتـيـجـة التـعـديل على المواضـيع الإسلامـية، الذي أدخله التـدرج الملحمي في الفـولكلور الأوزبكي، هدفت إلى تعريـف الناس بالملاك الذي أحضر التـراب الذي خلق منه الإنسان، هذا الملاك الذي وضع على عاتقه مهمة أخذ أرواح الناس.

في إحدى أسـاطير "قصص ربغـوزي" الدينية، التي أصـبحت أساسًا للرواية الشعبية الأوزبكية "خلق الجنس البشري" جاء ما يلي: عندما قـرر الله العلي العظيم خلق آدم قال لجبرائيـل: اذهب وأحضر لي حفنة من تراب الأرض، وعندما حاول جـبرائيل فعل ذلك، قالت له الأرض: لقد قطعت على نفسي عهدا، لا تأخذ من ترابي، عندها توقف جبـرائيل ولم يأخذ التـراب، ثم نادى إسرافـيل وأخبره فـقال الأخيـر: إذا كانت قد قطعت عـهدا فلا ضرورة للإخـلال به، وكان عـزرائيل حاضـرًا، فقـال: إن أمـر الله تعالى أهـم بالنسبـة لي من أوامـرك، وأخذ حـفنة من التراب، فـغـضبت الأرض وسـخنت من مشـرقهـا إلى مـغربهـا على عمق أربعين مـترًا، فنادى رب العـالمين عزرائيـل وقال: إن روحك قاسـية إلى أقـصى الحدود، يا عـزرائيل، لذلك سأكلفك بأخذ أرواح الناس[٣].

فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾.

شرح الأستاذ علاء الدين منصور، الذي ترجم معاني الآيات الكريمة التي سبق ذكرها إلى اللغة الأوزبكية، سبب قيام "أهل الكهف" بالبحث عن الحماية والملاذ لدى الله عز وجل، وهو أن أحد القياصرة، الذين حكموا أحد بلاد البيزنطيين ويدعى ديوكيونس (ديتسي، ديوكلتيان) - وذلك بعد صلب عيسى المسيح عليه السلام كما يعتقدون - راح ينشر في بلاده عبادة الوثينة. ولم يحدد القرآن الكريم عدد "أهل الكهف" ولم يذكر أسماءهم، جاء في الآية ٢٢ من سورة الكهف: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ ﴾.

في فصل "قصص أهل الكهف" من كتاب نصر الدين برهان الدين ربغوزي "قصص ربغوزي" روي أنه حكم في روما (البيزنطية) أحد الملوك، وكان لديه جيش قوي، وفي أحد الأيام هاجمه ملك آخر. وفيما بعد تبين أن هذا الملك الآخر كان القيصر ديوكيونس وقد انتصر على الملك البيزنطي وأسر أولاده السبعة، ولم يرض هؤلاء الأولاد بالخضوع للقيصر الظالم فراحوا يبحثون عن الملاذ عند الله تعالى، وهربوا من ديار ديوكيونس. وكتب ربغوزي يقول: هؤلاء

آدم عليه السلام. وقد تابع المؤرخ أبو الغازي بهادرخان هذا التقليد في كتابه "شجرة الترك". ففي جزء "رواية خلق آدم" يعلق المؤلف على "عهد الأرض" فيقول: عندما شرح جبريل الموضوع قالت له الأرض: لقد قطعت على نفسي عهدًا أمام الله (عز وجل) فلا تأخذ من ترابي غدًا عندما بتكاثر أبناء البشر فسيصبح أحدهم مارقًا، وآخر مجرمًا وثالث طاغية، وآخرون أثمة ومذنبين، وسوف يحاكمون بمحكمة مريعة أمام رب العالمين، ولن يكون في إمكاني تحمل غضب الله وعذاب الناس"[٥].

(ب) **ظهور القصص الشعبية المستمدة من القرآن الكريم:**

تعود جذور الموضوع الأساسي في الروايات الشعبية الأوزبكية ذات المنحى الإسلامي حول "خلق آدم من التراب" إلى آيات القرآن الكريم، ففي هذا المجال جاء في الآية ٢٦ من سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

وتقول الآية الخامسة من سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾.

وفي سورة الكهف جاء في الآيات ١٠- ١٢: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾

عن "أهل الكهف" الرواية التالية الشائعة لدى الشعب الأوزبكي منذ أقدم العصور: "آمن سبعة فتيان أصدقاء بالله تعالى، واختبأوا في الكهف خوفًا من ظلم القيصر ديوكيونس، وانضم إليهم كلب أمين، ونامـوا، بإرادة الله تعالى، ٣٠٩ سنوات، وقام الكلب بحراستهم طوال هذا الوقت دون أن يغمض له جفن، وكانت أسماء الأصدقاء السبعة على النحو التالي: يمليخو، مقصلمينو، كاشفوتان، تابيونس، كاشرفاتيونس، اذرفاتيونس، يونسبوس، أما الكلب فكان يدعى قيطمير[٩].

نلاحظ أن هذه الرواية أوردت أسماء الفتية السبعة.

إن بعض وجوه الرواية الأوزبكية الشعبية الدينية الإسلامية عن أهل الكهف التحمت عضويا بمجموعة مواضيع القصة الشعبية المكتوبة، ففي "قصة مشرب" مثلاً، يصبح الفتيان السبعة الأسياد الدينيين لرعاة الغنم، خرج مشرب وسار في طريقه فشاهد راعيًا مع قطيع من الغنم، فقال مشرب: "أيها الراعي هل تعرف سيدك الذي يحميك؟" فأجاب الراعي أنه لا يعرف، فسأل مشرب: إذا سمّيت لك سيدك فكيف ستشكرني؟! أجاب الراعي: هذه الأغنام ملك لشخص آخر وليس معي شيئًا أعطيك إياه. فاقترح مشرب قائلاً: إذا أعطيتني كلبك فسأخبرك بأسماء أسيادك، فأعطاه الراعي كلبه مجبرًا، وعندها عدد مشرب أسماء أصحاب الكهف واحدًا بعد الآخر: يمليخو، مقصلمينو، كاشفوتات، اذرفاتيونس، يوفانيسيونوس،

الأولاد هم: تمليخو، اغسبغ، مينو، مارتولوس، سارينيوس، ذوأناس، أما الراعي فكان يدعى كافيتينوس والكلب قيطمير[٦].

نلاحظ هنا أنه بالرغم من أن عدد أهل الكهف كان سبعة فإن ربغوزي يذكر أسماء ستة منهم فقط، ولعل الراعي كان السابع!

ويمكن أن نلاحظ وضعًا مماثلاً في الصيغ الأوزبكية لهذه الرواية الإسلامية، فقد نقل عالم الأثنوغرافيا غ.ب. سنيساريف الرواية التالية عن صدر الدين سليموف الذي سكن في مدينة خوارزم وبلغ من العمر ٤٣ عامًا: كان يحكم البلاد أحد القياصرة، وفي أحد الأيام جاءه أحد المبشرين بدين آخر وأقنعه بالتخلي عن دين الله، وافق القيصر على ذلك وأمر ابنه بالشيء نفسه، لكن الابن لم يوافق في قرارة نفسه، وهرب من البيت خوفًا من أن يعدمه والده، وهرب معه ستة من أصدقائه، وعندما أصبحوا خارج المدينة التقوا بأحد الرعاة وحدثوه عما جرى معهم، فقرر الراعي الذهاب معهم وتبعه كلبه، وأسماء هؤلاء الشباب هي: تمرنجو، مقصلمينو، كاشبولات، كاشوفات، تاب - يونس، اذوربات - يونس . . . "[٧].

لم تشر الروايات الدينية الأوزبكية عن أهل الكهف في كتاب علي شيرنوائي التاريخي "تاريخ الأنبياء والحكماء"، ولا الرواية المشهورة ضمن حدود تركستان "فوائد المسلمين" من مجموعة "جواهر الحكايات" إلى أسماء هؤلاء الفتية السبعة[٨].

وقد أورد ناشر مجموعة "جواهر الحكايات" سعيد بك حسن

عالم الفولكلور كاملجان إماموف مثل هذه الروايات النثرية التي تحوي معلومات عن أسماء تاريخية محددة، أو تشرح مصادر النوم القديمة "روايات ذات طابع اشتقاقي"[١٢]، وكتب يقول: "إن الرواية عن النوم بشكل مبالغ فيه (!!)، والمبالغة الكبيرة في الأفكار الخيالية تخبئ في طياتها حقيقة تاريخية، فقد دانت الرواية الظلم والاضطهاد وعدم العدل والسيطرة على سياسة الدولة، وطرحت إلى جانب ذلك أفكار الحرية والسعي إلى حياة آمنة"[١٣].

يعطي الباحث تقديرًا صحيحًا للجوهر الاجتماعي لهذه الظاهرة التي كانت سبب المحتوى الفكري والتناقضي للرواية الشعبية الأوزبكية، والتي نتجت عن التطور الملحمي لموضوع "أهل الكهف"، وتستعمل عادة جملة "ما تبقى من أيام ديوكيونس" لدى الشعب الأوزبكي بنفس معنى "القديم جدًا"، أو "ما قبل الطوفان"، وشاعت هذه الرواية لدى الشعب من أجل تفسير هذا المثل السائر، وبالرغم من ذلك تبقى تسمية هذه الرواية "الرواية الاشتقاقية" تسمية مجازية، وذلك لأن الطابع المعرفي - الوعظي للنتاج الشفهي المروي يستخدم لشرح معاني الأمثال السائرة والحكم الشعبية، وينطوي تحت لواء الأمثال والحكم، ومع أن الرواية المذكورة أعلاه أقرب إلى التاريخ منها إلى الأمثال، فمن الأفضل أن تُقيَّم، وذلك من حيث موضوعها، كرواية تاريخية عند كاملجان إماموف. إلا أن النماذج الأصلية (ديوكيونس - الأمبراطور ديتسي) هي شخصيات تاريخية حقيقية،

تابيونس، كاشافاتيونس. ومع كلب الراعي "قطمير"[١٠].

وهكذا، يحتمل أن نموذج "أهل الكهف" جاء إلى الفولكلور الأوزبكي عبر الأسطورة العربية القديمة، وقد أثرت آيات القرآن الكريم وتفاسيرها في حصول هيكل الرواية الفني على شكل تقليدي، وكما سبق ورأينا فإن القرآن الكريم لم يأت على أسماء "أهل الكهف"، في هذه الحالة فإن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هو سبب تسمية أشخاص "أهل الكهف" في الرواية الأوزبكية؟ نعتقد في هذا المجال أن الحكاية العربية الكاملة عن "أهل الكهف" انتقلت إلى الطريقة الملحمية الأوزبكية عن طريق الرواة، كما أنها التحمت بالإبداع الشعري المروي للشعوب التركية عبر تفسير الآيات الكريمة وعبر المصادر الأدبية والجغرافية.

وتشير أبحاث أ. كريمسكي إلى أن ٦٤ مُؤلِّفًا أعطوا تفسيرات مختلفة للآيات الكريمة عن "أهل الكهف" والتي جاءت في سورة الكهف المباركة[١١].

أعطيت في هذه التفسيرات الرواية الكاملة عن "أهل الكهف" واستعمل المؤرخون والمفسرون والمترجمون القدامى نموذج "أصحاب الكهف" في الشرح الفني لأشكال هذه الرواية التي انتشرت قبل الإسلام، وكذلك عناصر رواية: "الفتيان السبعة النائمون" التي جاءت في المصادر الأدبية الدينية المسيحية.

في معرض دراسته لرواية "ما تبقَّى من أيام ديوكيونس" سمَّى

عالم الاثنوغرافيا غ. ب. سنيساريف، الذي عدّ موضوع حياة الملك الظالم ديوكيونس من الناحية الجغرافية ينحصر في مكان معين، وتظهر شخصية ديوكيونس في الروايات التي تتحدث عن إحدى مدن خوارزم القديمة - مدينة كات مسقط رأس أبي الريحان البيروني - وقد كُتبت رواية عن لسان بيكيم بيرجانوف البالغ من العمر ٥٥ عامًا، والذي يسكن في شبّاز يتحدث فيها عن القيصر الظالم يونس الذي حكم في العصور القديمة، وبالرغم من أن ديوكيونس كان صاحب أملاك كثيرة، إلا أنه كان يعذب بضراوة السكان بإجبارهم على العمل الشاق، وفي أحد الأيام ثار الشعب المظلوم على القيصر الظالم بقيادة الشيخ عباس وطرده من الملك وتمكن من تحقيق حريته[١٤].

ومن خلال بعثاته العلمية، خلص سنيساريف إلى أن شخصية ديوكيونس انطبعت في تصور الأوزبك الذين يعيشون على الضفة اليسرى لنهر أمودريا، كقيصر ظالم.

من المحتمل أن هذه الرواية عن مدينة كات جاءت على أساس موضوع الحكاية العربية عن "أصحاب الكهف"، ولعل أ. كالميكوف، الذي قام برحلة إلى خانية خيوا في مطلع القرن الماضي، سمع في دار غان آتا رواية حول ظهور هذه المدينة، ويتحدث في كتاباته عن "أن السكان المحليين يربطون تأسيس هذه المدينةباسم أحد القياصرة الذي يدعي ديوكيونيس، ويوجد عنه أسطورة، إلا أنني لم أتمكن من إدراك معنى محدد فيها بسبب الترجمة غير الواضحة، وبدا لي أنه تم تغيير

وكذلك الموضوع الذي أدى إلى تطور خصائص الصراع (سبعة فتيان كرماء يهربون من ظلم القيصر ويختبئون في الكهف)، هذا الموضوع يشير إلى الأمبراطور نيرون، وديتسي وغيرهما من الأباطرة الذين لاحقوا وظلموا أتباع المسيح عليه السلام (هذا يعني أن الموضوع يعكس واقعًا تاريخيًا)، كل هذا يعطينا الحق بأن نُقيِّم هذه الرواية على أنها رواية تاريخية.

ولقد طرأت تغييرات جذرية محددة على النص العربي بعد نقله إلى الشكل الملحمي التركي (الأوزبكي)؛ ففي الروايات العربية (بما في ذلك الروايات التركية الأولى التي ظهرت خلال عملية توسيع منطقة انتشار هذه الروايات الملحمية) كانت فكرة نشر التعاليم الإسلامية هي الفكرة الأساسية، أما الروايات الأوزبكية "ما تبقى بعد ديوكيونس" و"ديوكيونس" فتدين ظلم الحكام والطغاة وجورهم، وتؤكد على فكرة عدم إمكان خنق حريات الناس بالقوة، وتمجد الحرية والعدل والكرم.

وعلى مر القرون تغير مدلول شكل الشخصيات التاريخية، وقفز إلى الواجهة نموذج القيصر الظالم ديوكيونس مكان الفتيان النائمين (أصحاب الكهف)؛ لأن التطور المنطقي للموضوع الأدبي العربي يكمن في أن التوجهات الفكرية للرواية تسعى لإدانة الشر وتكريم الخير، فكان هذا سببًا لتحويل نموذج ديوكيونس إلى شخصية رمزية.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الروايات التاريخية التي كتبها

موضوع "أصحاب الكهف" ضمن نظام العلاقات الملحمية بين الفولكلورين العربي والأوزبكي.

إن أبحاثنا ونتائجها، حول مصدر مواضيع الحكايات الشعبية الإسلامية الدينية الأوزبكية المكرسة لموضوع "أصحاب الكهف" وتطورها الأدبي والتعديلات الوظيفية فيها، تتلخص فيما يلي:

١- تعود الحكايات والأساطير الشعبية الأوزبكية ذات الطابع الديني الإسلامي عن ديوكيونس والفتيان السبعة الذين هربوا من بطشه وبحثوا عن ملاذ لدى الله عز وجل، في مصدرها إلى الأدب العربي، وظهرت الصيغ التركية (الأوزبكية) القديمة لهذه الرواية في القرنين الثامن والتاسع، مع انتشار آيات القرآن الكريم في المنطقة (سورة الكهف المباركة وخاصة آياتها الكريمة التي وصفت سيرة أهل الكهف)، وانتشار تفاسير هذه الآيات الكريمة، وكذلك تحت تأثير القصص والنقل الذي قام به الرواة العرب.

٢- أصبح نموذج "أصحاب الكهف" الذي دخل في صلب التقاليد الملحمية التركية (الأوزبكية) نتيجة العلاقات الجينية مع الفولكلور العربي، يفسر أدبيًا بطريقتين:

أ- الأدب المكتوب.

ب - الأدب النثري المروي.

٣- حصلت الروايات الدينية الإسلامية الأوزبكية عن "أصحاب

التعاليم الدينية في الرواية، وجرى الحديث فيها عن الزمن الذي كان الكثير فيه من الناس ساخطين إلى أبعد الحدود"[١٥].

مما يلفت الانتباه أيضًا أن أ. كاليكوف يطرح فكرة تبعية الجزء الأول من اسم القيصر (ديو)، الذي قام ببناء مدينة دارغان آتا، إلى المصادر الإغريقية، وفسَّر بشكل خاطئ تبعية "ديو" لاسم أحد الأباطرة الإغريق - ديودوت، إلا أن هذه النظرية تعرضت في وقتها للنقد من قبل العلماء وجرى دحضها[١٦].

من الممكن جدًا، أن أ. كاليكوف سمع الصيغة الخوارزمية للروايات الشعبية التاريخية الأوزبكية، التي ظهرت على أساس الرواية العربية عن "أصحاب الكهف"؛ ذلك أنه كما سبق وذكرنا أعلاه، فإن "أصحاب الكهف" الفتيان السبعة هربوا وراحوا يبحثون عن الملاذ لدى الله عز وجل، بسبب عدم رضاهم عن نشر الوثنية من قبل ديوكيونس في دولته، أي بسبب محاولته لتغيير الدين.

وكما في حكايات دارغان آتا، كذلك يجب أن تكون مجموعة الأسباب الرئيسية ونظام الموضوع الكلاسيكي مُعبَّرًا عنها بشكل كامل أو جزئي في نماذج الحكايات الأقدم عن مدينة كات، وظل نموذج ديوكيونس، خلافًا للنماذج الأخرى محافظًا على شخصيته كحاكم، يمثل الظلم، على مدى مرحلة التطور غير المنقطع للعملية الفولكلورية التاريخية، ولهذا السبب بالذات، وصل إلينا الموضوع الأسطوري عن مدينة كات، من الناحية التاريخية التصنيفية، بنتيجة تغييرات مدلولات

هوامش الفصل الثالث

(١) أرشيف فولكلور بمعهد اللغة والآداب لمجمع العلوم في جمهورية أوزبكستان رقم ٢/١٧١٣.

(٢) كليموفيتش ل.ي. كتاب عن القرآن، موسكو ١٩٨٨م، ص ١٩٢- ٢٥٠؛ بياتروفسكي م.ب. قصص القرآن، موسكو، دار العلم ١٩٩١م، ص ٣٠- ٤٣؛ بياتروفسكي أيضًا، آدم، أساطير شعوب العالم، المجلد الأول، موسكو ١٩٩٢م، ص ٤٣؛

Beck E., Fllis und Mensch Satan und Adam: der Werdegand einer Korantschen Eizahlup II Le Mueeon, 1976, v. 89, - fore. 1-2, Pedersen J. Aolam II El, v. L.S. 181- 183.

رضوان ي.أ.، آدم وحواء، آدم في القرآن (للفهم التاريخي "الإنسان الأول" و"الإنسانية") في كتاب الإسلام: الدين، المجتمع، الدولة، موسكو ١٩٨٤م، ص ٥٩ - ٦٨.

(٣) قصص ربغوزي، ص ١٦.

(٤) علي شيرنوائي. تاريخ الأنبياء والحكماء، طشقند، ١٩٩٠م، ص ٧.

(٥) أبو الغازي، شجرة الترك. طشقند، ١٩٩٢م، ص ١٣.

(٦) نصر الدين برهان الدين ربغوزي . قصص ربغوزي، المجلد الثاني، طشقند، ١٩٩٠م، ص ٩٦.

(٧) غ.ب. سنيساريف، روايات خوارزم، مصدر تاريخي للعبادة الدينية في آسيا الوسطى، دار "ناؤوكا" (العلم) ١٩٨٣م، ص ١٣٣.

الكهف" وعن "ديوكيونس" على انتشار واسع كروايات تاريخية ذات طابع تأصيل أسماء الأماكن، وحافظت خلال ذلك على الشكل التقليدي من مصدرها الملحمي الأول (الفولكلور العربي).

٤- تعرضت المواضيع الرئيسية، والشخصيات، وبعض الأجزاء الأدبية في موضوع الرواية العربية إلى بعض التغييرات الوظيفية والدلالية، نتيجة انتشار الصيغ الأدبية، على مدى القرون الطويلة، في مجموعة المواضيع الملحمية الأدبية الفولكلورية الأوزبكية. إن استعمال المواضيع الأسطورية التقليدية وإعطاءها محتوى جديدًا لعقدة القصة وحلها، وحصولها على العنصر المحلي من الناحية الجغرافية، ساعد على ظهور الصيغ القومية المحلية عن موضوع "أهل الكهف" الديني الإسلامي، الخاصة بالفولكلور الأوزبكي فقط.

الفصل الرابع ...

بدايات الأدب الأوزبكي الإسلامي

١- انتشار الإسلام في عصور الازدهار في ما وراء النهر.

٢- نماذج الأدب الأوزبكي:

أولاً: محمود كاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك".

ثانيًا: يوسف خاص الحاجب وكتابه "قوتادغو بيليك" المعرفة المباركة.

ثالثًا: أحمد يغناكي ومؤلفه "هبة الحقائق".

٣- دور القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في تطور الأدب الأوزبكي.

٤- أحمد يساوي والأدب الأوزبكي - الإسلامي.

٥- سليمان باقرغاني وكتابه "كتاب باقرغاني".

(٨) علي شير نوائي، تاريخ الأنبياء والحكماء، طشقند، ١٩٩٠م، ص ١٢١ - ١٢٣. جواهر الحكايات، ص ١٢١ - ١٢٣.

(٩) جواهر الحكايات، طشقند، دار الكاتب للنشر، ١٩٩٣م، ص ٢٠٠.

(١٠) قصص مشرب. طشقند، ١٩٩٣م، ص ١٢١.

(١١) كريمسكي أ. عطايا، م. فتيان افسس السبعة النائمون، ص ٧- ١٧.

(١٢) علم الاشتقاق أو علم التأصيل.

(١٣) د. كاملجان إماموف، روايات ، مقالات أوزبكية فولكلورية، المجلد الثاني، طشقند ، ١٩٨٩م، ص ٤٣.

(١٤) سنيساريف غ.ب. روايات خوارزم كمصدر لتاريخ العبارة الدينية في آسيا الوسطى، موسكو، دار العلم، ١٩٨٣م، ص ١٢٦.

(١٥) كالميكوف أ. خيوار (بروتوكولات اجتماعات نادي تركستان لهواة علم الآثار)، طشقند، المجلد ١٢، ١٩٠٨م، ص ٧١.

(١٦) سنيساريف غ.ب. روايات خوارزم ...، ص ١٩٣.

١- انتشار الإسلام في عصور الازدهار في ما وراء النهر:

بدأ مستوى الحياة الثقافية في ما وراء النهر بالارتفاع بشكل ملحوظ في عصور الازدهار، فبعد اعتناق السكان للدين الإسلامي بدأت تصلهم الكتب الأدبية العربية والكتب ذات الطابع العلمي والمعرفي، وقد ساعد وجود الدول الاقطاعية الكبيرة وتطور علاقات الإنتاج وأساليب الري والزراعة وتربية المواشي والحرف، وتوسيع التجارة والعلاقات الثقافية - الاقتصادية مع الدول الأخرى في عهد حكم السامانيين والغزنويين والقراخانيين، ساعد على تحضير التربة الخصبة لازدهار الثقافة الإسلامية في ما وراء النهر.

في هذه المرحلة تحولت مدن مثل بخارى، وسمرقند، وشاش وأورغينتش إلى مراكز ثقافية كبيرة، وصارت اللغة العربية تستعمل في المعاملات الرسمية، وكتبت أغلب المقالات والكتب العلمية بهذه اللغة حتى أواسط القرن العاشر الميلادي، وابتداء من أواسط القرن العاشر بدأت الكتب تكتب باللغة الفارسية بالأحرف العربية[١].

وقد وصل الأدب العربي إلى مرحلة عالية من التطور إلى جانب الأدب الفارسي في عصور الازدهار، خاصة في مدينة بخارى، المركز الثقافي الأكبر في بلاد ما وراء النهر في ذلك الحين، ويذكر العالم النيسابوري أبو منصور الثعالبي ٣٥٠- ٤٣٠هـ (٩٦١-١٠٣٨م) في مجموعته "يتيمة الدهر" معلومات عن ٤٧ شاعرًا من بلاد ما وراء النهر عاشوا في القرنين الثالث والرابع في بخارى وكتبوا

محمد اليزيدي (توفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢- ٩٢٣م تقريبًا)[٢].

لم تكن بخاري حتى مطلع القرن الثالث مركزًا ثقافيًا مهمًا فقط، لكنها كانت أيضًا مركزًا لتعاليم الديانة الإسلامية، وبالدرجة الأولى مركزًا للنشأة العلمية للأحاديث وتطورها.

تفيد المصادر الدينية الإسلامية، أنه ابتداءا من القرن الأول بدأ تجميع (المخطوطات) وكتابتها في أحاديث رسول الله ﷺ. وعلى وجه الخصوص كتب عالم الدين الربيع بن صبيح أحاديث نقلها عن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (توفي سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م) وعن الإمام مالك بن أنس (٩٣- ١٣٨هـ/ ٧١١- ٧٥٥م)[٣].

وتفيد أحاديث سكان بخارى أن الشيخ إسماعيل بن إبراهيم رزق بطفل في سنة ١٩٤ هجرية في اليوم الثالث عشر من شوال، هذا الطفل سيصبح إمامًا ومفسرًا شهيرًا للأحاديث وعالمًا دينيًا اسمه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيري البخاري الجعفي، بدأ البخاري في العاشرة من عمره بدراسة اللغة العربية وكتب الحديث، في البداية درس على عدد من علماء الحديث منهم محمد بن سلامة البايكندي (١٦١- ٢٢٥هـ/ ٧٧٧- ٨٣٩) وعبد الله بن محمد المسندي الجعفي (توفي في سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م).

في السادسة عشرة من عمره توجه الإمام البخاري مع والدته وأخيه إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وبقي البخاري في هذه المنطقة لمدة أربع سنوات حيث زار إلى جانب مكة المكرمة، بلخ،

باللغة العربية.

ومن بين أبرز ممثلي الأدب العربي في بلاد ما وراء النهر: أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب، الذي خدم كاتبًا في بلاط الأمير الساماني إسماعيل بن أحمد ٢٨٨- ٢٩٥هـ (٩٠٠- ٩٠٧)، ثم وزيرًا للأمير أحمد بن إسماعيل ٢٩٥- ٣٠٢هـ (٩٠٧- ٩١٤م)؛ وأبو الحسين المرادي الصديق المقرب لمؤسس الأدب الطاجيكي أبي عبد الله روداكي؛ وأبو الطيب محمد بن خاتم المصعبي الذي كتب أشعارًا رائعة باللغتين الفارسية والعربية؛ وأبو الفضل أحمد بن محمد بن زيد المروزي الذي نقل الأمثال السائرة والأقوال المأثورة في بلاد ما وراء النهر إلى اللغة العربية، كما حول هذه الأمثال والأقوال إلى أشعار تماشت مع الأحاديث الشريفة، وأبو محمد الحسن بن علي بن مجران المجراني، الشاعر الشاشي الذي ارتفع بأدبه إلى مرحلة عالية في مواضيع الحب والهجاء؛ وأبو الحسن بن علي بن الحسن اللَّحام شاعر الهجاء البخاري؛ والأديب الشاعر أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الدينوري صاحب أكثر من ثلاثين مُؤَلَّفًا أدبيًا عربيًا؛ والكاتبان أبو الحسن الأفريقي وأبو منصور البوشنجي اللذان كتبا "كتاب الشعر للندماء" و"كتاب الانتصاف للمتنبي".

في هذه الحقبة انتشرت على نطاق واسع التعاليم النظرية لعلماء اللغة العرب المشهورين بين شعراء وأدباء ما وراء النهر، من هؤلاء: أبو حاتم السِّجيستاني (توفي سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)؛ وأبو عبد الله

ابن كليب الشاشي، وأبو بكر أحمد بن محمد البركاتي، وإبراهيم بن معقل الناصفي، ونعيم بن حَمَّاد المروزي، والإمام أبو الحسن أحمد ابن محمد السمرقندي وغيرهم[٤].

على هذه الطريقة، طريقة علماء الحديث الكبار، نشأ الإمام البخاري، الذي رفع مجد مدرسة الحديث في ما وراء النهر إلى مستوى الأمجاد العالمية.

وتتابع تقليد الأحاديث في ما وراء النهر بعد القرن الثالث أيضًا، ووصل تلامذة الإمام البخاري ودارسوه إلى الذروة في علم الحديث، ومنهم: مسلم بن حجاج، وعيسى الترمذي، والنَّسائي، وأبو زرعة، ويوسف الفارابي، وأبوبكر بن خزيمة وغيرهم.

وأدت المراكز الثقافية مثل ترمذ وتشاغونيان دورًا مهمًا في رفع مستوى تطور العلوم الإسلامية وشأن الدين الإسلامي في ما وراء النهر في عصور الازدهار، وفي القرنين الثالث والرابع وبالرغم من الحفاظ على اللغتين الأوزبكية والفارسية، إلا أن اللغة العربية انتشرت على نطاق واسع في هذه المناطق، وقد ترك لنا العالم الموسوعة، الذي عاش وأبدع في هذه المنطقة، أبو عبد الله محمد بن حسن بن بشار الحيكم الترمذي نحو ٤٠٠ مؤلف تناولت الدين الإسلامي والمجالات العلمية الأخرى، وكرس هذا العالم، عالم الدين، عارف القرآن الكريم والحديث الفذ الحكيم الترمذي، كرس أبحاثه المهمة للتعاليم الدينية، ومنها: "جامع العلم"، و"أسرار الصلاة" و"أسرار الحج"

والبصرة، والكوفة، وبغداد، وحمص، ودمشق، ومصر والمدينة المنورة، ودرس على أيدي علماء الحديث المشهورين، وعاد الإمام البخاري بعد ذلك إلى موطنه، كمحدث ذي معرفة كبيرة، حيث وضع الأسس للكتاب المعروف "بالصحيح" عن الأحاديث.

وبفضل الله تعالى ثم بفضل مؤلفات الإمام البخاري المكرسة للأحاديث، تمكن الدين الإسلامي من تطوير انتشاره في بلاد ما وراء النهر، وقد ساهمت كتب البخاري في هذه العملية بشكل كبير. فمن كتبه التي ساهمت في وصول الدين الإسلامي إلى أوجه في بلاد ما وراء النهر: "الجامع الصحيح"، و"الأدب المفرد"، وكتاب "أسماء الصحابة" وكتاب "أفعال العباد"، وكتاب "بدء المخلوقات"، وكتاب "بر الوالدين"، "تاريخ بخارى"، و"كتاب الثلاثيات"، و"الجامع الصغير"، و"الجامع الكبير"، وكتاب "الفوائد" وكتاب "القراءة خلف الإمام" وكتاب "الكون"، وكتاب "الوجدان"، وكتاب "الخيبة"، و"خلق أفعال العباد"، وكتاب "المسند الكبير".

ويتميز علم الأحاديث في ما وراء النهر بشكل عام بتقاليده الأدبية الفريدة، وبهذا الخصوص جاء في مقدمة المجلد الأول للطبعة الأوزبكية لمؤلف الإمام البخاري "الجامع الصحيح": يعد الإمام عبد الله بن محمد المروزي أول محدث وضع جامعًا للحديث في ما وراء النهر، ومن مواطنينا الذين وضعوا جوامع للحديث أيضًا: الإمام أحمد ابن حنبل المروزي، وإسحاق بن راهويه المروزي، والإمام الهيثم

عن أسئلة كثيرة منها: الأسس القانونية للعلاقات الاجتماعية الاقتصادية، والملكية العامة والملكية الشخصية والقوانين الخاصة بأشكال الملكية الأخرى، والأهداف القانونية في المسائل المالية؛ والتقدير الحقوقي لخرق القانون والنظر إلى الجريمة على أنها ظاهرة حقوقية اجتماعية؛ ومسائل الحقوق المدنية نظريًا وعمليًا؛ والتطبيق القضائي؛ والأسس الحقوقية للنظام القضائي وعملية المحاكمة.

وقد اعترف العالم الإسلامي بأجمعه بقوانين وقواعد الشرعية التي حددها المرغلاني؛ ولذا يعد كتاب "الهداية" واحدًا من أهم ما توصلت إليه المدرسة الدينية في ما وراء النهر[٧].

وهكذا يتبين لنا أن الدين الإسلامي في عصور الازدهار تطور بشكل سريع في ما وراء النهر، وانتشر القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بين الناس كمصادر دينية أساسية تدعو إلى الهداية، وفي هذه المرحلة بالذات اكتسبت مدرسة ما وراء النهر نهجها الرائد في مجال العلوم الدينية والأحاديث الشريفة، وارتبط ظهور أول الدول الإقطاعية وتطور الزراعة وتربية المواشي والحرف وارتفاع مستوى الحياة الثقافي، ارتباطًا وثيقًا بتطور الدين الإسلامي وانتشاره في المنطقة. لقد أفاد نور الإسلام كمصدر مبارك منح القوى الروحية للثقافة والأدب في بلاد ما وراء النهر، إن هذا الواقع الاجتماعي بالتحديد شكّل العوامل التاريخية لظهور الأدب الإسلامي الأوزبكي، كما أن الإسلام هو مهد الوعي القومي الذي ساعد في عصور الازدهار في نشأة وتطور الأدب

و"نوادر الأصول في أخبار الرسول". ولعبت هذه المؤلفات دورًا كبيرًا في مد جذور الدين الإسلامي في ما وراء النهر، وخاصة في تشاغونيان[٥].

ومن الشخصيات الكبيرة الأخرى، التي ساهمت في نشر الأحاديث والدين الإسلامي في القرنين الثالث والرابع، الإمام أبو عيسى محمد بن موسى الضرير الترمذي، ولم تفقد كتب هذا العلامة قيمتها حتى اليوم ومنها: كتاب "الجامع الصحيح"، وكتاب "العلل"، وكتاب "التاريخ"، وكتاب "الشمائل النبوية"، ومقالاته في وضع الحديث على طريقة "السنن".

درس الترمذي، الذي عاش وعمل في جنوب ما وراء النهر - ترمذ، الدين الإسلامي من وجهة النظر الفلسفية، وقارنه بالدينين المسيحي واليهودي، وخلص، على أساس تعليل مفصل، إلى برهنة تفوق الدين الإسلامي. ومن مؤلفاته في هذا المجال: كتاب "الإخلاص" وكتاب "العجب"[٦].

وفي عصور الازدهار وصل أيضًا علم قوانين الشريعة - الفقه في ما وراء النهر إلى درجة عالية من التطور، وحظي كتاب "الهداية" لبرهان الدين المرغلاني (عبد الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني الريشتاني المرغلاني، توفي سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م) باعتراف كبير في العالم الإسلامي. في هذا الكتاب علَّل المُؤلِّف قوانين ومقاييس الشريعة، وأجاب برهان الدين المرغلاني في كتابه "الهداية"

شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٠٧٢م بدأ هذا العالم اللغوي، الذي يعود بنسبه إلى القرا خانيين، بكتابة "ديوان لغات الترك" فأنهاه في عام ٤٧٦هـ الموافق السابع والعشرين من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٠٨٣م[٩]. أشار محمود كاشغري في مقدمة كتابه إلى أنه عقد العزم على أن يصف لغة القبائل التركية بخصائصها المتميزة، وقدم المؤلف في هذا الكتاب، الذي يتألف من جزأين: المقدمة والقاموس، شرحًا لأكثر من ستة آلاف كلمة تركية، إضافة إلى أكثر من ثلاثمائة مثل شعبي، بالإضافة إلى بعض الحكم والأشعار الغنائية المختلفة وغيرها مما سيرد ذكره، وقد استعمل محمود كاشغري كتاب "ديوان العرب في بيان لغة العرب" لعالم اللغة الشهير إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الفارابي[١٠] كنموذج يحتذيه، وقد استعمل محمود كاشغري قواعد اللغة العربية، وصرفها، ويجدر بالذكر أن عددًا من الأبحاث العلمية درس بشكل مفصل الخصائص الأدبية لهذا الكتاب كمصدر أدبي نادر، ودرس دوره في نشأة الأدب الأوزبكي[١١]. لهذا سنكتفي ببيان ما يتعلق ببحثنا هنا مما أورده محمود كاشغري في "ديوان لغات الترك".

يمكن تقسيم النصوص الأدبية ذات الطابع الإسلامي في "ديوان لغات الترك" على الشكل التالي:

١. الشعر الغنائي:

كي يشرح مدلول كلمة "ياش" التي تعني "حجر الفيروز"

التركي (الأوزبكي).

٢- نماذج الأدب الأوزبكي الأولي:

في القرون الثالث - السادس توطد نهج تشكل اللغة الأوزبكية القديمة (التركية) على أساس الأحرف العربية، وكذلك النهج الأدبي والعلمي والمعرفي، وامتلك الأدب المكتوب، الذي ضم في طياته الإبداع الشعبي الفولكلوري، قيمًا روحية عظيمة تحت تأثير المصادر الإسلامية والأدبية العربية، وانتشرت بشكل واسع أنواع الشعر الغنائي كالقصيدة، والغزل، والمثنوي، والرباعي، والقطعة، والمرثية، والمناظرة، وأعْتُرف علميًا بالمؤلفات التالية: "ديوان لغات الترك"، و"قوتادغو بيليك - "المعرفة المباركة"، و"هبة الحقائق" على أنها أولى الآثار الأدبية، التي عكست أدبيًا أفكار الدين الإسلامي، ونشرت تفسير الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، واضعة بذلك نهجًا أدبيًا جديدًا. لذلك قررنا أن نبدأ هنا، في معرض حديثنا عن مراحل نشأة وتطور الأدب الديني - الإسلامي الأوزبكي، بهذه المؤلفات الأدبية الثلاثة:

١- محمود كاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك":

يعد كتاب محمود كاشغري "ديوان لغات الترك"، وفقًا للأبحاث العلمية المكرسة لدراسة تاريخ الأدب الأوزبكي، واحدًا من أقدم نماذج الأدب الكلاسيكي الأوزبكي. ولد محمود كاشغري في قرية أوزار بالقرب من مدينة كاشغار[٨]، وفي الخامس والعشرين من

يورد محمود كاشغري الرباعية التالية:

جاباتّى جاشيل جاش

صاووركى أورك قاش

تيزيلدى قاره قوش

تون كون أزه جورقانور[١٢]

(خلق الله السماء الفيروزية، وزينها بالنجوم، كما يزين الحجر الخاتم، تناسق برج الميزان، وراح الليل والنهار يغطيان بعضهما البعض).

تشير الآيات القرآنية بوضوح إلى خلق الله للكون، وبمعرفتها الجيدة لذلك قامت القبائل التركية بمقارنة نجوم السماء باللآلئ التي نثرها الله سبحانه وتعالى على وجه السماء الفيروزي. إن هذه الرباعية التي يظهر فيها تأثير الآيات الكريمة تمثل في الواقع أغنية شعبية، تظهر فيها المهارة الأدبية في وصف تناسق برج الميزان في السماء وقيام الليل بتغطية النهار، والنهار بتغطية الليل. أما الرباعية التي سنوردها الآن، فقد أوردها المؤلف لشرح معنى فعل "توروتّي" (كَوَّنَ، خَلَقَ)، وهي أيضًا تفيد من آيات القرآن الكريم حول خلق الكون[١٣]:

تنكرى آجون توروتّو

جيزكى ابن تزكينور

يولدوزلرى يورقاشوب

تون كون أزه بورقانور